

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمن ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات.

قسم اللغة العربية وآدابها.

محاضرات في مقياس فقه اللغة

مقرر لطلبة السنة الأولى ماستر

تخصص : دراسات نحوية وصرفية.

من اعداد الدكتورة : جبالي فتيحة

السنة الجامعية: 2017-2018

محاضرات مقياس : فقه اللغة

الأستاذة: جبالي فتيحة.

محاضرات مقدمة للسنة الأولى ماستر (LMD)
السداسي الأول

- المحاضرة الأولى: فقه اللغة (نشأة المصطلح، مفهومه)، الفرق بين فقه اللغة، وعلم اللغة
 - المحاضرة الثانية: نظريات نشأة اللغة الإنسانية (المحاكاة، والتّواضع والاصطلاح، والإلهام).
 - المحاضرة الثالثة: اللغة العربية واللّغات السّامية.
 - المحاضرة الرّابعة: اللغة العربية ولهجاتها.
 - المحاضرة الخامسة: التّرادف (أسبابه، اختلاف الدّارسين حول وجوده)
 - المحاضرة السادسة: المشترك اللفظي
 - المحاضرة السّابعة: التّضاد.
 - المحاضرة الثامنة: الاشتقاق (مفهومه، وأنواعه، العام، الكبير، الأكبر، الكبّار "النّحت").
- قائمة المصادر والمراجع

المحاضرة الأولى: فقه اللغة (نشأة المصطلح، مفهومه)، الفرق بين فقه اللغة، وعلم اللغة والفيلولوجيا..

تحديد "فقه اللغة" من الناحية اللغوية والاصطلاحية:

مصطلح "فقه اللغة" مركّب إضافي يتكوّن من كلمتين، الأولى (فقه)، والثانية كلمة (لغة)، وكل كلمة منهما لها معانٍ لغوية مرتبطة بكل كلمة، وللتعرف على مفهومها من الناحية المعجمية يجدر بنا تحليل كل واحدة منها.

أ. من الناحية اللغوية:

● مادة "فقه":

جاء في مقاييس "اللغة" لابن فارس: الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح يدلّ على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهت الحديث، أفقّه. وكل علم بشيء فهو فقه. يقولون لا يفقه ولا ينقّه... وأفقهتُك الشيء، إذا بينته لك¹.

وجاء في "لسان العرب" لابن منظور، الفقه: العلم بالشيء والفهم له...، والفقه في الأصل الفهم، يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين؛ أي: فهماً فيه. قال الله عز وجل: "لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا"²، ليكونوا علماء به، وفقّهه الله، ودعا النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس فقال: "اللَّهُمَّ عَلِّمهُ الدِّينَ، وفقّهه في التأويل"؛ أي: فهمه تأويله ومعناه...³

وفقه فقهاً، بمعنى: علّم علماً... وقد فقه فقاهاً، وهو فقيه من قوم فقهاء، وفقه بضم القاف، صار فقيهاً، وساد الفقهاء³.

وجاء في المعجم الوسيط: فقه الأمر فقهاً (بكسر الفاء وفتحها) أحسن إدراكه.. يقال: فقه عنه الكلام، ونحوه: فهمه، فهو فقه... والفقه: الفهم والفطنة والعلم⁴.

¹ - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج 05، 1999م، ص: 442. (مادة: ف ق ه).

² - سورة التوبة، الآية: 122.

³ - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط 01، 1119م، ص: 3450. (مادة: ف ق ه).

⁴ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 04، 2004م، ص: 698. (مادة: ف ق ه).

فكُتِبَ المعاجم أَكَدَت أَنَّ كلمة "فِقْه" تعني "العلم"، وهذه الكلمة مصدر من الفعل الثلاثي (فَقَّهَ) و(فَقَّهَ) بكسر القاف وضمِّها، وَفِقْهُ اللُّغَةُ عند أصحاب المعاجم يعني علم اللُّغة العربية، لأنَّه ابتداءً عربي، وابتكار إسلامي مستوحى من عمل الفقهاء الذين ينظرون في النَّصِّ الدِّيني ليستنبطوا منه الحكم الشرعي، فهو بهذا المفهوم مرادف لعلم اللُّغة الخاص بدراسة العربية¹. فقد غلب استعمال (الفِقْه) على علوم الدِّين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم.

• مادَّة (لُغة):

جاء في "مقاييس اللُّغة" لابن فارس: اللَّام، والحرف المعتل أصلان صحيحان يدلُّ على الشَّيء لا يعتدُّ به، والآخر: على اللَّهَج بالشَّيء، فالأوَّل: اللَّغو، يقال: لغا يلغو لغواً، وذلك في لغو الأيمان، واللُّغا هو اللَّغو بعينه. قال تعالى: "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ"²؛ أي: ما لم يعقدوه بقلوبكم... والثَّاني لغِي بالأمْرِ، إذا لهَجَ به³.

وقد قال ابن جني بالاشتقاق وعَرَّفَهَا بقوله: "أما حدَّها، فإنَّها أصوات يعبرُ بها كلُّ قوم عن أغراضهم"⁴. أما تصريفها ومعرفة حروفها، فإنَّها فُعلةٌ مِنْ لَعَوْتُ، أي: تكَلَّمْتُ وأصلها لُغَوَةٌ كَكُرَةٍ وقُلَّةٍ وثَبَّةٍ كلَّها لاماتها واوات⁵. وقالوا فيها: لغات ولُغُونٌ (ملحق بالجمع المذكور السَّالم)، وقيل منها لغِي يلغى إذا هذى⁶، ومصدره اللُّغا. واللُّغة: اللِّسن كما قال ابن منظور.

فابن فارس وابن جني قالا بالاشتقاق، والرَّاجب الإصفهاني قال بالاشتقاق الأوَّل، أمَّا الفيروز آبادي، فقد قال بالاشتقاق الأوَّل⁷.

¹ - عبد التَّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللُّغة العربية - نشأته وتطوُّره، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط: 01، 2013م، ص: 11.

² - البقرة، الآية: 225.

³ - ابن فارس، مقاييس اللُّغة، ص: 255، 256. (مادة: ل غ و).

⁴ - ابن جني، الخصائص، ج 01، ص: 87.

⁵ - سالم الخَمَّاش، فقه اللُّغة، ص: 13.

⁶ - المرجع نفسه، الصَّفحة نفسها.

⁷ - عبد التَّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللُّغة العربية، ص: 13.

إنَّ اللّغة لا تقتصر على الأصوات فقط، بل تدخل فيها كلّ وسيلة تفاهم: (الإشارات، تعبيرات الوجه...)، لكنّ المتعارف عليه هو أنّ اللّغة أصوات، إنّه التعريف العلمي الذي تناقله علماء العربية من حيث ماهيتها، وتركيبها، ووظيفتها¹، فهي: أصوات منطوقة، وظيفتها التعبير عن الأغراض، تعيش بين قوم يتفاهمون بها، كما أنّ لكلّ قوم لغة.

يراد باللّغة اللّسان كما قال ابن منظور، والمادة كما وردت تدور حول الأصوات الإنسانية وغيرها من أصوات الحيوانات والطّيور وسائر الكائنات الحية، ويمكن أنّ يصل المعنى فيها إلى كلّ ما له صوت، سواء كان صادراً من إنسان أو حيوان أو جماد. فيقال: لغة المدفع، لغة الدّابة...

فما قاله ابن جني وغيره من العلماء أنّ كلمة "لغة" على وزن "فُعْلَة" لا يتماشى مع قواعد الميزان الصّرفي للّغة العربية، فالكلمة لامها واو، وقد حذفت من الكلمة، فما حُذف من الموزون يحذف من الميزان أيضاً، وعلى هذا فالكلمة على وزن فُعْة.

إنّ كلمة "لغة" لم ترد مستعملة في كلام عربي يعتد به، وإنّما كانت العرب تسمي مجرد الضّوضاء التي لا طائل من ورائها لغواً...².

فالعرب الخُلص لم يكونوا يستعملون كلمة "لغة" في كلامهم. وإنّما كانوا كغيرهم من الأمم السّامية، بل كأكثر الأمم يستعملون كلمة (لسان) للدّلالة على اللّغة. ودليل ذلك ما جاء في القرآن الكريم، كقوله تعالى: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"³، وقوله أيضاً: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ"⁴. كما وردت على لسان الشّاعر في قوله:

وَرَبِّ أَسْرَابٍ حَجِيجٍ كُظُمٍ عَنِ اللّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ.

وقال آخر:

إِنِّي إِذَا اسْتَلْغَانِي الْقَوْمُ فِي السَّرَى بَرِمْتُ فَأَلْفَوْنِي بِسِرِّكَ أَعْجَمًا⁵.

¹ - حلمي خليل، مقدّمة لدراسة فقه اللّغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م، ص: 65.

² - المرجع السابق، ص: 13.

³ - سورة التحل، الآية: 103.

⁴ - سورة إبراهيم، الآية: 40.

⁵ - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللّغة العربية، ص: 14، 15.

فالكلمة "اسْتَلْعَى"، تعني: السَّماع من لغة العرب، فهي كلمة عربية بدليل وجود جذرها الأصلي في القرآن والحديث "ل غ و"، مع جواز تصريفها واشتقاقها.

فالعرب القدماء كانوا يعبرون عن اللغة باللسان في العصور الجاهلية وصدر الإسلام، وقد نزل القرآن الكريم بذلك. كما وردت كلمة (لغة) في الحديث النبوي الشريف "من قال في الجمعة: صَبَّ فَقَدْ لَعَا؛ أي: تَكَلَّمَ، وكذلك (اللغو)، قال الله سبحانه وتعالى: "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا"¹، أي: بالباطل². وأريد بها هذا المعنى العلمي.

ب. من الناحية الاصطلاحية:

إنّ فقيه اللغة لا يكفي بالوقوف على ظواهر اللغة، بل يحاول التعرف على أسرارها ويبحث عن عللها، فمهمته لا تقف عند المفهوم المعجمي، بل تتعدى إلى المعنى الإيحائي الذي يلاحظه من يفرق بين مدلول (عالم) ومفهوم (فقيه).

لقد عرفه الدكتور صبحي الصالح بأنّه: "منهج للبحث استقرائي وصفي يُعرّف به موطن اللغة الأول وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة، الشّقيقة أو الأجنبية، وخصائص أصواتها، وأبنية مفرداتها وتراكيبها، وعناصر لهجاتها، وتطور دلالتها، ومدى نمائها قراءة وكتابة"³.

كما عرّفه رمضان عبد التّواب بأنّه: "العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة، والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها، ومعرفة سرّ تطوّرها، ودراسة ظواهرها المختلفة، دراسة تاريخية من جانب، ووصفية من جانب آخر"⁴.

ومن خلال ذلك، نرى أنّ فقه اللغة يدرس عناصر اللغة الأربعة (الصّوتية، الصّرفية، النّحوية والدّلالية) دراسة وصفية معتمدة على واقع نطقي مسموع، أو على منهج معياري موجود في كتب التراث، فيدرس هذه العناصر اللّغوية عبر مراحل التّاريخ المختلفة، ويتعرّف على ما أصابها من تغيّر وتطور...

¹ - سورة الفرقان، الآية: 72.

² - سالم الخمّاش، فقه اللغة، ص: 38.

³ - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 2009م، ص: 21، 22.

⁴ - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط06، 1999م، ص: 09.

يُعنى فقه اللّغة بدراسة قضاياها من حيث أصواتها ومفرداتها وتراكيبها، وخصائصها وما يطرأ عليها من تغييرات...، كما يبحث في وظيفة اللّغة وأصلها، ومصادرها، وما يُثار حولها من نقاشات، وما تُواجهه من مشكلات، وما يُحاك ضدها من مؤامرات...

إنّ مصطلح فقه اللّغة عند العرب أُستخدم في استعمالات كثيرة، فهو مصطلح عربي بحث¹، استعمله علماء العربية منذ القرن الرابع الهجري، وقد استعمله ابن فارس عنواناً لكتابه "الصّاحي في فقه اللّغة العربية وسنن العرب في كلامها".

يتبيّن لنا من خلال هذا التّوع من التّأليف أنّ فقه اللّغة: "يقوم بدراسة القوانين العامّة التي تنظم اللّغة في جميع مستوياتها الصّوتية والصّرفية والتّحوية والدّالية والأسلوبية"². يبدو لنا من خلال هذا التعريف أنّ ابن فارس استعمل كلمة "لغة" بمعناها العام المطلق، أي: أنّها وسيلة متعدّدة المستويات، يستعملها النّاس للتّفاهم بينهم، فجاء مفهومه واسعاً وشاملاً.

كما استعمله أبو منصور عبد الملك بن محمد الثّعالبي عنواناً لكتابه: "فقه اللّغة وسرّ العربية"، فأطلق مصطلح فقه اللّغة على بعض مجموعات من الألفاظ والاستعمالات المنظّمة فيما يشبه المعجم المصنوع على منهج معاجم المعاني والموضوعات.

يرى الثّعالبي أنّ فقه اللّغة "علم خاص بفقه وفهم المفردات، وتمييز مجالاتها واستعمالاتها الخاصّة والاهتمام بالفروق الدّقيقة بين معانيها"³. فقد استخدم الثّعالبي كلمة "لغة" في معناها الخاص، أي: معرفة المفردات ومعانيها. ففقه اللّغة عنده فقه للمفردات لا فقه التّراكيب والأساليب.

وقد أُستخدم مصطلح فقه اللّغة أيضاً ترجمة للمصطلح الأجنبي "فيلولوجي"¹Philology، الذي "يدرس النّصوص اللّغوية دراسة تاريخية مقارنة لمحاولة فهمها"². وعلى هذا يكون هذا المصطلح مرادفاً لمصطلح "علم اللّغة".

¹ - إنّ هذا المصطلح "فَقْهِيّ"، انتقل من معناه الاصطلاحي؛ أي: العلم بأصول الدّين وأحكامه العامّة والخاصّة إلى بيئة اللّغويين، فاستخدموه بقصد الفهم العميق للّغة، أو العلم بأصول اللّغة وخصائصها قياساً على العلم بأصول الدّين. صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص: 15، 16.

² - سالم الخماش، فقه اللّغة، ص: 02.

³ - سالم الخماش، فقه اللّغة، ص: 02.

وَمَنْ استخدم مصطلح فقه اللّغة مرادفاً لعلم اللّغة الدّكتور علي عبد الواحد وافي، في كتابة "فقه اللّغة"، والأسّاذ محمد الأنطاكى في كتابه: "الوجيز في فقه اللّغة"، والدّكتور عبد الله الرّبيع، والدّكتور عبد العزيز علاّم في كتابيهما: "في فقه اللّغة".

كما أُستخدم فقه اللّغة في الجامعات المصريّة وغيرها في دراسة البحوث اللّغوية المتعلّقة باللّغات السّامية، أو إحدى هذه اللّغات، كحياة اللّغة، ونشأتها، وحقيقتها، وقيمتها، والفصيح والمذموم منها، واحتكاك اللّغات المختلفة بعضها ببعض، ونشأة اللّغة الفصحى واللّهجات، والبحث في أصوات اللّغة ودلالة الألفاظ وبنيتها من التّواحي التاريخيّة المقارنة، والوصفيّة، والعلاقات النّحوية بين مفرداتها، ثمّ البحث في الأساليب واختلافها باختلاف فنونها (شعراً ونثراً)³.

موضوع البحث في فقه اللّغة:

موضوعات البحث في فقه اللّغة عند العرب شتّى تتّصل أحياناً بمباحث لغوية عامّة وأخرى خاصّة باللّغة العربيّة وحدها بجميع عناصرها اللّغوية.

فهو يتناول البحث في:

- 1- القول في أصل اللّغة، والنّظريات القائلة في ذلك.
- 2- حياة اللّغة ومراحل تطورها.
- 3- الظّروف التي مرّت بها اللّغة.
- 4- انقسام اللّغة الواحدة إلى لهجات.
- 5- استقلال هذه اللّغات بعد ذلك وتحوّلها إلى لغات مستقلة،
- 6- صراع اللّغة مع غيرها من اللّغات ونتيجة هذا الصّراع، وما ينشأ عنه من انتصارٍ أو هزيمة.
- 7- البحث في أصوات اللّغة، ودلالة الألفاظ فيها، وعلم المعجم، والصّرف والنّحو والأسلوب.
- 8- الاشتقاق بأنواعه.

¹ - الفيلولوجيا: علم يعالج المشكلات والقضايا المتعلّقة باللسّانين "الإغريقيّ واللاتيني"، ممّا لا وجود له في تاريخ الدّراسات اللّغوية عندنا.

يدرس التّصّوص اللّغوية القديمة، واللّغات البائدة. يهتم بالتّراث، والتّاريخ...

² - رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه اللّغة العربيّة، ص: 09.

³ - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها. (بتصرّف).

9- المشترك والمترادف والمتضاد والنّحت.

10- التعريب والمولّد.

11- مسألة اللّغة، وما تواجهه من عوائق...

12- مواكبة العربية للمستجدّات، أي: ما خصّ المصطلحات الجديدة (الطبيّة، الصّناعية...).

نشأة مصطلح فقه اللّغة:

مصطلح فقه اللّغة عربي قديم، استعمله علماء العربية في القرن الرّابع الهجري، كما فعل ابن فارس(ت: 395هـ) في كتابه "الصّاحي في فقه اللّغة" نسبة إلى الصّاحب بن عبّاد(ت: 385هـ) الذي أهدى إليه الكتاب¹، الذي ضمّنه الكثير من مباحث فقه اللّغة"مضمونها يدور حول اللّغة العربية وأوليّتها ومنشئها، ثمّ يبحث في أساليب العرب في مخاطبتهم، وفي الحقيقة والمجاز"²، ثمّ وضع كتاباً آخر بعنوان"مقاييس اللّغة"، ناقش فيه موضوعين مهمّين تمثلا في الأصول والنّحت، وكذلك الثّعالي(ت: 429هـ) في كتابه، " فقه اللّغة وأسرار العربية"، "الذي تجد اسمه كالثوب الفضفاض عليه، فإنّه لم يُضمّنهُ إلاّ بعض المباحث القليلة، التي يمكن أن تتعلّق بهذا العلم، كإيراده بعض الألفاظ العربية... وهذه المباحث مبثوثة في الباب التّاسع والعشرين من كتابه"³. وما تضمّنه من معاني للألفاظ والكلمات المعربة⁴.

وفي أوائل القرن الخامس، ظهر كتاب " المخصّص" لابن سيّدة ، وهو معجم مبني على أساس المعاني والموضوعات، وفيه عرض لبعض المباحث المتعلّقة بنشأة اللّغة وبعض الظواهر اللّغوية (المشترك، التّرادف، التّضاد، الاشتقاق، المجاز، المعرب، المولّد).

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، الصّاحي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1997م، ص: 08.

² - المرجع نفسه، ص: 08.

³ - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص: 24.

⁴ - أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثّعالي، فقه اللّغة وأسرار العربية، الطبعة العصرية، بيروت، 2003م، ص: 339.

وفي القرن السادس الهجري، ألف أبو منصور الجواليقي كتابه "المعرب من الكلام الأعجمي"، ضمّنه بموضوع واحد من موضوعات فقه اللغة - الألفاظ المعربة وشروط التعريب¹.

وفي القرن السابع، جمع ابن منظور (ت: 1117هـ) مفردات اللغة لحفظها، وضبط أصولها. وفي القرن العاشر الهجري، ألف جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) كتابه "المزهر في علوم اللغة"، إذ يعدّ كتابه من أغنى وأكثر الكتب المتقدمة مادة ومضموناً، فمن مباحثه نجد: (اللغة وما روي منها، معرفة مختلفها، معرفة تداخلها وتوافقها، المصنوع والفصيح، والمستعمل والمهمّل، والحوشي والغريب، والمعرب والمولّد، والاشتقاق، والاشتراك، والتّرادف، والتّضاد، والتّحت...) ². فقد قال السيوطي: "والذي جمعناه في مؤلّفنا هذا مُفَرَّقٌ في أصناف كتب العلماء المتقدّمين، (رضي الله عنهم وجزاهم عنّا أفضل الجزاء)، وإنّما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسطٌ مختصر، أو شرحٌ مُشكّل، أو جمع متفرّق" ³.

وفي القرن الحادي عشر، عالج شهاب الدّين الخفاجي في كتابه "شفاء الغليل، فيما ورد في كلام العرب من الدّخيل" الألفاظ المعربة والدّخيلة في اللغة العربية.

أمّا المحدثون من العرب، فلهم جهود يُشكّرون عليها في التّأليف في موضوعات فقه اللغة نذكر منهم:

-الدّكتور إبراهيم أنيس: (في اللهجات العربية، دلالة الألفاظ، من أسرار اللغة، مستقبل اللغة العربية...).
-الدّكتور إبراهيم السّامرائي: (دراسات في اللغة، التّطوّر اللّغوي التّاريخي، التّوزيع اللّغوي الجغرافي، العربية بين أمسها وحاضرها...).

-الدّكتور أحمد مختار عمر: (البحث اللّغوي عند العرب، دراسة الصّوت اللّغوي، دراسة الصّوت اللّغوي...).

-الدّكتور رمضان عبد التّوّاب: (فصول في فقه اللغة، التّطوّر اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه، اللّغات السّامية، العربية...).

¹ - المرجع السابق، ص: 26. (بتصرّف).

² - جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، ج01، 1998م، ص: 07، 08.

³ - المرجع نفسه، ص: 11.

-الدكتور علي عبد الواحد وافي: (فقه اللغة، علم اللغة، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل...).

-الدكتور كمال بشر: (قضايا لغوية، دراسات في علم اللغة، علم اللغة العام...)¹.

الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة:

أستخدم مصطلح "علم اللغة" مرادفاً "لفقه اللغة" عند ابن خلدون، لقد سمى العلم الذي يشتغل صاحبه برواية مفردات اللغة وتدوينها "علم اللغة"، وقد سبقه في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي. وقد ذهب الدكتور صبحي الصالح إلى أنه من الصعب تحديد الفروق الدقيقة بينهما لأنّ مباحثهما متداخلة لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، من خلال قوله: " وإذا التمسنا التفرقة بينهما، وجدناها تافهة لا وزن لها"²، فهو يحكم عليهما بالتداخل، فمن العسير تحديد الفروق الدقيقة بينهما، وقد سمح هذا التداخل أحياناً بإطلاق كلٍّ من التسميتين على الأخرى³، فكلاهما " علم الكلام" بمعنى معرفته وفهمه، إلا أنّ فقه اللغة يقوم على حب الكلام للتعمق في دراسته.

وهناك فريق من العلماء آثر التفريق بين المصطلحين، وجعل لكلٍّ منهما مجال يقتصر عليه في الدراسة، ومن هؤلاء الدكتور كمال بشر الذي يرى أنّ "فقه اللغة" بمفهومه القديم أو الحديث لا يعدو أن يكون حلقة من حلقات الدرس في "علم اللغة"⁴، وبهذا يمكن الاستغناء عنه، والاكتفاء بهذا المصطلح العام الذي يجري تطبيقه الآن على أي نوع من أنواع الدرس اللغوي.

وقد أيد الرأي كل من الدكتور السّعران وعبد الغفار هلال من خلال قولهما أنّه : هناك تفريق بين المصطلحين فكلّ منهما له مجال يقتصر عليه في الدراسة، ففقه اللغة أخصّ بدراسة لغة معيّنة كالعربية مثلاً. في حين نجد أنّ علم اللغة ليس مقصوراً على لغة بعينها، وإنّما يدرس اللغة عموماً باعتبارها سلوكاً بشرياً عاماً فهو يدرسها في ذاتها ومن أجل ذاتها.

¹ - رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه العربية، ص: 16، 17، 19، 20، 21.

² - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللغة، ص: 19، 20.

³ - محمّد أحمد أبو الفرج، مقدّمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، دس، ص: 77.

⁴ - علم اللغة: يُعنى بدراسة اللغة في ذاتها، وصفاً، تاريخاً ومقارنةً. كما أنّه يدرس اللهجات والأصوات مستعيناً بوسائل علمية. " فهو علم قائم بذاته مستقل يستعين بالعلوم الأخرى في دراسته. يقوم بدراسة الكلام البشري بوجه عام..."، مجد محمّد الباكير البرازي، فقه اللغة العربيّة، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 1987م، ص: 10.

المحاضرة الثانية: نظريات نشأة اللغة الإنسانية (المحاكاة، والتّواضع والاصطلاح، والإلهام).

إنّ قضية نشأة اللغة الإنسانية من القضايا التي شغلت أذهان العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، حيث شغلت أذهان الفلاسفة والمتكلمين وعلماء الأصول من العرب، فظهرت نظريات كثيرة ومتعدّدة، وعلى الرّغم من كثرة النّظريات في نشأة اللّغة، إلّا أنّ دراسة هذه القضية من القضايا التي أتعبت أذهان العلماء، ولم يصلوا فيها إلى الدّليل القاطع في نشأتها، لأنّ البحث فيها ميتافيزيقي ليس له سند أو دليل. يقوم البحث فيها على الحدس والتّخمين والتّخيّل. والسّؤال المطروح: كيف نشأت اللّغة ؟ أهى وحيّ من عند الله؟ أم هي من صنع الإنسان؟

1- نظرية التّوقيف:

يرى أصحاب هذه النّظرية، أنّ اللّغة الإنسانية توقيف من الله؛ أي: وحيّ من عنده، وقد ذهب إلى هذا الرّأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني "هيراكليت" Hiraclite (480 ق م)، وفي العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسها "لامبي" "Lami" في (كتابه فن الكلام)، والفيلسوف "دوبونالد" "Debonald" في كتابه (فن التّشريع). "اعتمدت على أدلّة مقتبسة الكتب المقدّسة، إلّا أنّ أدلّتهم نقلية بعضها يحتمل التّأويل، وبعضها يكاد يكون دليلاً عليهم وليس لهم"¹. وفي العصور الوسطى من علماء العربية "أبو عثمان الجاحظ" (255هـ)، و"أبو الحسن الأشعري" (324هـ)، و"أحمد بن فارس" (ت: 395هـ) وغيرهم. ومضمون هذه النّظرية عند أصحابها، أنّ اللّغة نشأت عن طريق الوحي والإلهام من الله تعالى لآدم عليه السّلام، بمعنى أنّ الله تعالى لقّن وألهم آدم عليه السّلام أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللّغات وجدت إلى الآن. فقد استدل علماء المسلمين بأدلة اقتبسوها من القرآن الكريم، كما استدل غيرهم من الإنجيل، وهي كما يلي:

1- قوله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"²، فقد ذكر ابن فارس قول ابن عباس: وهي هذه التي يتعارفها النّاس من: دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

¹ - حاتم علو الطّائي، نشأة اللّغة وأهميتها، مجلّة دراسات تربوية، ع: 06، أفريل 2009م، ص: 206.

² - سورة البقرة، الآية: 31.

وروى عن خُصيف عن مُجاهد قال: علّمه اسم كلّ شيء، وقال غيرهما: إنّما علّمه أسماء الملائكة.

وقال آخرون: علّمه أسماء ذرّيته أجمعين¹ بجميع اللّغات، العربية الفارسية، السّريانية، العبرانية وغير ذلك من سائر اللّغات، فكان آدم وولده يتكلّمون بها، ثم إنّ ولده تفرّقوا في الدّنيا، وعلق كلّ منهم بلغة من تلك اللّغات.

2- أنّ الله سبحانه وتعالى ذمّ قومًا في إطلاقهم أسماء غير توقيفية، في قوله تعالى: "إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا"².

3- قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ"³. فالمراد بالألسنة في الآية اللّغات.

كما استدل غير المسلمين على ذلك، بما ورد في سفر التّكوين، من أنّ الله "خلق من الطّين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السّماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها، وليحمل كلّ منها الاسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة، ولطيور السّماء، ودواب الحقول".
فما يمكننا ملاحظته، أنّ هذه النّظرية تعتمد على النّصوص النّقلية، كما أنّها لا تخلو من اعتراضات نذكر منها:

- أنّ نصّ التّوراة يُضعف دليلهم، وأنّه حجّة عليهم لا لهم؛ لأنّ آدم هو الواضع للأسماء كما ورد في النّص.

- أنّ الآية التي احتجّ بها علماء المسلمين ليست دليلاً قاطعاً؛ فقد اختلف المفسّرون في المراد بالأسماء.
- أنّه لو كانت اللّغة توقيفية لما جاز لنا أن ندخل فيها شيئاً⁴. وبهذا وغيره يتبيّن أنّ الأدلّة المساقفة لا تنهض بهذه النّظرية.

¹ - ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، ص: 13.

² - سورة النّجم، الآية: 23.

³ - سورة الرّوم، الآية: 22.

⁴ - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللّغة العربية - نشأته وتطوّره، ص: 39. (بتصرّف).

2- نظرية المواضعة والاصطلاح:

ذهب فريق من الباحثين إلى أنّ اللّغة الإنسانية، نشأت عن طريق المواضعة والاصطلاح؛ أي: أنّها من صنع الإنسان، فهو الذي وضع ألفاظ اللّغة الإنسانية بجميع لغاتها التي يتكلّم بها النّاس. ومن أصحاب هذه النّظرية في العصور القديمة "ديموكريت" "Democrite" في القرن الخامس قبل الميلاد، وفي العصور الوُسطى فلاسفة ولغويين من العرب "كأبي هاشم الجبائي"، و"أبي علي الفارسي"، و"ابن جني"، وفي العصور الحديثة من الفلاسفة الإنجليز "آدم سميث" "Adam smith"، و"ريد"، و"دجلد ستewart" "Dagald Stewart"¹.

وطريقة المواضعة كما صوّرها ابن جني (392هـ): "...كأنّ يجتمع حكيّمان أو ثلاثة، فصاعداً؛ فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكلّ واحد منها سمّة ولفظاً، إذا ذُكر عُرف به ما مسماه؛ ليمتاز عن غيره، وليُعنى بذكره عن إحضاره ولا إدناؤه...، وحال اجتماع الضّدين على المحلّ الواحد. كيف يكون ذلك لو جاز، وغير هذا مما هو جار في الاستمالة والبعد مجراه، فكأنّهم جاءوا إلى واحد من بني آدم، فأومئوا إليه، وقالوا: إنسان إنسان، فأئى وقت سمع هذا اللفظ، علم أنّ المراد به هذا الضّرب من المخلوق، وإنّ أرادوا سمّة عينه، أو يده، أشاروا إلى ذلك، فقالوا: يد، عين، رأس، قدم، أو نحو ذلك، فمتى سمعت اللفظة من هذا عُرف معناها، وهلمّ جرّاً فيما سوى هذا من الأسماء، والأفعال والحروف..."².

إنّ ما تُقرّره هذه النّظرية - المواضعة والاصطلاح - يتعارض مع النّواميس العامّة التي تسير عليها النّظم الاجتماعية، فهي لا تستند إلى أدلّة.

3- نظرية محاكاة الأصوات:

تقرّر هذه النّظرية، أنّ أصل اللّغة الإنسانية نشأ تقليداً لأصوات الطبيعة، كأصوات الحيوانات، وأصوات مظاهر الطبيعة، والأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها، كصوت الضّرب والقطع

¹ - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللّغة العربيّة - نشأته وتطوّره، ص: 40.

² - ابن جني، الخصائص، ج 01، ص: 96، 97.

والكسر...، ثم تطوّرت الألفاظ الدّالة على المحاكاة وارتقت بفعل ارتقاء العقلية الإنسانية وتقدّم الحضارة، واتّساق نطاق الحياة الاجتماعية، وتعدّد حاجات الإنسان.

وقد ذهب إلى القول بهذه النّظرية، كثير من فلاسفة العصور القديمة، ومؤلفي العرب في العصور الوسطى، منهم "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، و"ابن جني" ومعظم المحدثين من علماء اللّغة، وعلى رأسهم "وتني" "Whitney" و"سبنسر" "Spenser" والدّكتور "علي عبد الواحد وافي" و"عبد الغفار هلال" و"جرجي زيدان".

وملخص هذه النّظرية كما قال "فندريس": "أنّ كلّ المفردات قد خرجت من صيحة تشبه نباح الكلب، أو من سلسلة من الأصوات، توحى بتمثيل الأشياء عن طريق المحاكاة". فمن أبرز سمات هذه النّظرية قيامها على افتراض متخيّل، ثمّ التصاقها بشعور الإنسان، وصدورها الفطري عنه على نحو يخلو من التّعقيد، وأخذها بالتدرّج البطيء الذي يسم الظواهر الاجتماعية "وعهدنا بهذه النّظم أنّها لا ترتحل ارتجالاً، ولا تخلق خلقاً، بل تتكوّن بالتدرّج من تلقاء نفسها¹.

وقد عرض ابن جني لرأي أصحاب هذه النّظرية، فقال: "وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللّغات كلّها، إنّما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الرّيح وحنين الرّعد وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونهيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطّبي، ونحو ذلك. ثمّ وُلِدَت اللّغات معاً ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبّل"².

ومن الاعتراضات الموجهة لهذه النّظرية:

- أنّ التّواضع يحتاج إلى لغة سابقة يُتفاهم بها. فبأيّ لغة تواصل هؤلاء؟ وكيف استطاعوا أن يضعوا مسميات لكلّ اللّغات الأخرى؟
- أنّه لا يكون حكماء يتواضعون بدون لغة. فهذه النّظرية لا تحلّ المشكلة ولا تخلص من المآخذ.
- أنّ هذا القول مجرّد دعوى تفتقر إلى دليل.

¹ - غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص: 50.

² - ابن جني، الخصائص، ج 01، ص: 98، 99.

4- نظرية الغريزة الكلامية (الاستعداد الفطري):

تقرّر هذه النظرية أنّ الإنسان مزود بفطرته بغريزة كلامية، زوّد بها جميع أفراد النوع الإنساني، وأنّ هذه الغريزة تجعل الإنسان قادراً على صوغ الألفاظ الكاملة، كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه بأيّة وسيلة من الوسائل، غير أنّ هذه القدرة على النطق بالألفاظ، لا تظهر أثارها إلّا عند الحاجة، أو في الوقت المناسب.

فاللغة الإنسانية نشأت عند أصحاب هذه النظرية من صيحات وتأوّهات، صدرت عن الإنسان بشكل غريزي، لتعبّر عن فرح أو دهشة أو غضب أو ألم... وقد سمّي م "اكس مولر" هذه النظرية، بنظرية "دنج دونج" "Dong Ding"، فكان يريد بها أن يُشبّه هذه الغريزة الفطرية بلولب الساعة الملتف في باطنها، ويُشبّه حوادث الزمن ببندول الساعة الذي يتحرّك، فيُخرج بتحرّكه القوّة الكامنة في الساعة. فالزمن ومقتضيات الأحوال هي التي تخرج هذه المقدرة من حيز القوّة إلى حيز الفعل.

وكأنّ النفس الإنسانية مخزن ممتلئ بالألفاظ. ومن أشهر علماء هذه النظرية العلامة الفرنسي "رينان" "Renan". والألماني "ماكس مولر" "Max Muller"، ولعلّ الذي دعاه إلى وضع هذه النظرية، ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرّة، التي تدلّ على أنّهم تواقون إلى وضع أسماء للأشياء، التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، وأنّهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل، إرضاءً لرغبتهم الفطرية في التّكلم والتّعبير عن أغراضهم، فاستنبط من ملاحظته هذه " أنّ الإنسان مزود بتلك القوّة التي تنشأ عنها الألفاظ"¹.

اعتمد "ماكس مولر" على أدلّة مستمدّة من البحث في أصول الكلمات في اللغة الهندية الأوربية. والتي من عيوبها ظهور الكلمات الأولى كاملة لدى الإنسان غير خاضعة لسنة التطوّر².

إنّ دراسة اللغة والتطوّر اللغوي أمر مستمر، باعتباره موضوعاً حيويّاً من موضوعات البحث في اهتمامات اللغة. إذ إنّ اللغة الإنسانية كانت أوّل أمرها كثيرة الأصوات قليلة المعاني. كما أنّ النظريات

¹ - عبد التّوّاب مرسى حسن الأكرت، فقه اللغة العربية - نشأته وتطوّره، ص: 47. (بتصرّف).

² - حاتم علو الطّائي، نشأة اللغة وأهميتها، ص: 207. (بتصرّف).

القائمة على تلك الدّراسات والتي تعدّ الأصوات المادّة الرّئيسة لها يمكن الاطمئنان إلى البعض منها لأنّها أسّست دراستها على قواعد علمية واضحة المعالم خاضعة للعلم التّجريبي الحديث¹.
على الرّغم من التّباين بين النّظريات، إلّا أنّه يمكننا القول إنّ الله سبحانه وتعالى ألهم الإنسان بالنّطق، وبتلك القدرة استطاع أن يُحاكي الطّبيعة، ولما ارتقى في التّفكير وضع كلماته بالتّواضع والاصطلاح.

¹ - حاتم علو الطّائي، نشأة اللّغة وأهميتها، ص: 210. (بتصرّف).

المحاضرة الثالثة: اللغة العربية واللغات السامية.

إنّ قضية تقسيم اللّغات الإنسانية من القضايا التي شغلت أذهان الباحثين والمفكرين وجذبت أنظارهم وانتباههم، والسبب في ذلك راجع إلى القرابة اللّغوية في المستويات الصّوتية، الصّرفية، النّحوية والدّلالية، التي كشفت عنها الدّراسات المقارنة بين اللّغات التي تنتمي إلى فصيلة لغوية واحدة، وهذه القرابة راجعة إلى مظاهر التّطور اللّغوي الذي سلكته كلّ لغة من لغات هذه الفصيلة.

فالأصل في هذه اللّغات أنّها ترجع إلى لغة واحدة، هي اللّغة الأمّ لهذه الفصيلة، ثمّ تفرّع عن اللّغة الأمّ لهجات عدّة، وبعد مرور الزّمن عليها أصبحت كلّ لهجة تمثّل لغة قائمة بنفسها وتفي بأغراض مجتمعتها الذي نشأت فيه. ومن أجل ذلك اهتم العلماء بالكشف عن العلاقة بين هذه اللّغات، فقاموا بتصنيف اللّغات إلى فصائل، يقول ابن حزم الأندلسي (ت: 456): "فمن تدبّر العبرانية والعربية والسّريانية، أيقن أنّ اختلافها إنّما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ النّاس على طول الزّمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنّما لغة واحدة في الأصل"¹.

وقد اختلفت آراء العلماء فيما يتعلّق بهذا التّصنيف، وهذا الخلاف راجع إلى الأساس الذي اعتمدوا عليه فخرجت ثلاث نظريات في ذلك، وهي:

1. النّظرية القديمة؛ وهي تعتمد على النّصوص الدّينية الواردة في التّوراه أساساً لهذا التّقسيم.
2. نظرية التّطور؛ والتي اعتبرت مراحل التّطور اللّغوي هو الأساس في ذلك.
3. نظرية القرابة اللّغوية؛ وهي تعتمد على علاقات القرى وأواصر النّسب اللّغوية في هذا التّقسيم.

1. النّظرية القديمة:

اعتمد أصحاب هذه النّظرية على ما ورد في "سفر التّكوين"، من أنّ الطّوفان أغرق من في الأرض، ولم يبقَ إلّا نوح عليه السّلام وأولاده الثلاثة: سام، حام ويافث، فأرجع أصحاب هذه النّظرية جميع اللّغات إلى هذه المجموعات اللّغوية الثلاث:

- أ- المجموعة السّامية: أشهر لغاتها (العربية، السّريانية، العبرية، الآرامية، الكنعانية والآكادية).
- ب- المجموعة الحامية: أشهر لغاتها (المصرية القديمة، البربرية، القبطية، الحبشية القديمة - الكوشيتية، النّوبية).

¹ - حلمي خليل، مقدّمة لدراسة فقه اللّغة، ص: 116.

ج- المجموعة الآرية اليافتية: وتشمل اللغات الأوربية (الفارسية، الهندية، الأفغانية والكردية).

ومن العلماء الذين قالوا بهذه النظرية المستشرق شلوتسر SCHLOZER أخذاً من جدول تقسيم الشعوب، الموجودة في التوراة، ذلك الجدول¹ الذي يُرجع كل الشعوب إلى أبناء نوح عليه السلام².

2. نظرية التطور:

لم يعتمد أصحاب هذه النظرية على النصوص الدينية كما فعل أصحاب النظرية القديمة، بل راعوا التقسيم من الناحية التاريخية التي مرت بها اللغات المختلفة، ودرجة تطورها وارتقائها، دون النظر إلى درجات القرابة اللغوية التي يمكن ملاحظتها بين اللغات المختلفة، واعتمد أصحاب هذه النظرية على مقاييس صوتية وصرفية ونحوية، تعكس مدى التطور الذي أصاب اللغات في مراحلها التاريخية المختلفة، وتسمى هذه النظرية بالنظرية النوعية- تنوع اللغات.

وقد قام العلامة "شليجل" بتقسيم اللغات الإنسانية معتمداً على تطورها إلى الفصائل أو الأقسام

التالية:

1- اللغات المتصرفة (التحليلية): يمتاز هذا القسم بأن أبنية كلماته- المورفولوجية- تتغير معانيها بتغير مبانيها الصرفية، ويدلّ فيها على المعاني النحوية بعلامات إضافية كعلامات الإعراب ليصل بعضها ببعض عن طريق روابط مستقلة تشير إلى مختلف العلاقات، كقولنا: ذهب محمد وعلي من المنزل إلى الجامعة. نأتي ب"واو" قصيرة و"نون" زائدة بعد دال محمد للدلالة على أنّه أحدث الحدث، ونأتي ب"الواو" العاطفة بين محمد وعليّ للدلالة على الابتداء، وب"إلى" للدلالة على الانتهاء.

وسُمّيت هذه الطائفة من اللغات بالمتصرفة لتغير أبنيتها بتغير معانيها. والتحليلية لما تتخذ جمال الجملة من تحليل أجزائها وربطها ببعضها ببعض بروابط تدلّ على العلاقات³.

2- اللغات اللصقية (الوصلية أو المجمعة): يمتاز هذا القسم من اللغات في تنوع معاني صيغها، وفي ربط أجزاء جملها على إضافة بعض الأصوات أو الحروف، وتوضع هذه الحروف أحياناً قبل الأصل،

¹ - لأنه بنى تقسيمه على اعتبارات سياسية وحدود جغرافية.

² - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 25. (بتصرف).

³ - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللغة العربية، ص: 59، 60. (بتصرف).

فُتَسَمَّى سابقة "Prefix"، وأحياناً بعده وتُسمى لاحقة "Suffix"، وبهذه السّوابق واللّواحق تُغنى اللّغات وتزداد مفرداتها، وتتغيّر معانيها¹. يقول الدّكتور علي عبد الواحد وافي: "وتشتمل كذلك على أهم خاصّة لقواعد اللّغة العربية، وهي خاصّة الإعراب بالحركات، أي: إلحاق أصوات مد قصيرة بآخر الكلمة لبيان وظيفتها وعلاقتها ببقية عناصر الجملة"². ومن هذه اللّغات نجد: اليابانية، التّركية، وبعض لغات الأمم البدائية كلغة الإيروكوتين - عشائر من الهنود الحمر.

وسُمّيت باللّغات اللّصقيّة نسبة إلى الطّريقة تتبّعها حيال الأصل إذ تُلصّق به حروفاً زائدة عن حروفه لتوضيح معناه، أو للإشارة إلى علاقته بما عداه من أجزاء الجملة³.

3- اللّغات غير المتصرّفة (العازلة): وهي اللّغات التي كلماتها غير قابلة للتّصرّف، لا عن طريق تغيير البنية، ولا عن طريق لصق حروف بالأصل، فكلّ كلمة تُلازم شكلاً واحداً وتدلّ على معنى ثابت لا يتغيّر.

يقول الدّكتور عبد الواحد وافي في كتابه "فقه اللّغة": "وتسير على الطّريقة العربية في صوغ أفعال التّفضيل وحذف علامة الإعراب أو شيء منها في حالة إضافة الاسم إلى ما عداه"⁴. تمتاز هذه اللّغات من النّاحية النّحويّة بعدم وجود روابط بين أجزاء الجملة للدّلالة على وظيفة كلّ منها وعلاقته بما عداه، فهي تُوضّح الأجزاء بعضها بجانب بعض، وتستفاد وظائفها وعلاقاتها من ترتيبها، أو من سياق الكلام، ويدخل في هذا القسم اللّغة الصّينية، وكثير من لغات الأمم البدائية.

لقد سُمّيت هذه اللّغات باللّغات غير المتصرّفة، لأنّ كلماتها لا تتصرّف، ولا يتغيّر معناها، وبالعازلة لأنّها تعزل أجزاء الجملة بعضها عن بعض، ولا تُصرّح بما يربطها من علاقات⁵.

¹ - غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات، دمشق، ط2، 2000م، ص: 63.

² - علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، دار نخضة مصر، القاهرة، ط8، ص: 99.

³ - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، المرجع السّابق، ص: 60. (بتصرّف).

⁴ - علي عبد الواحد وافي، المرجع السّابق، ص: 99.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 60. (بتصرّف).

يرى أصحاب هذه النظرية أنّ اللغة الإنسانية في مبدأ نشأتها، كانت من النوع الثالث، أي: لغات غير متصرّفة، ثم ارتقت إلى النوع الثاني - اللّصقية - ولم تصل إلى حالة النوع الأوّل - اللّغات المتصرّفة - إلّا في آخر مرحلة قطعتها في هذا السّبيل، واستدلوا بهذه النظرية بأدلة مستمدة من لغة الطّفل، ولغات الأمم البدائية.

3. نظرية القرابة اللّغوية:

قسّم أصحاب هذه النظرية اللّغات الإنسانية إلى فصائل، باستخدامهم المنهج المقارن في دراساتهم اللّغوية. يقوم هذا المنهج بهذا التقسيم على أساس العلاقات المشتركة التي كشفت عنها المقارنة إلى فصائل أو أسر لغوية. تنتمي إلى كلّ منها مجموعة من اللّغات التي تتشابه في عناصرها الصّوتية والصّرفية كما تُقارَب في أنظمتها النّحوية ودلالة مفرداتها، ومن أشهر القائلين بهذه النظرية "ماكس مولر" Max Moller، حيث قسّم اللّغات إلى ثلاثة فصائل، حيث سمّى طائفة من اللّغات الآسيوية والأوروبية باسم اصطلاحى هو الفصيلة الطّورانية "Touranienne"¹.

1- الفصيلة الهندوأوربية: تشمل لغات أوربا، ومن أشهر لغاتها القديمة (السنسكريتية، اليونانية واللاتينية).

2- الفصيلة الطّورانية: تضم ما بقي من لغات أوربا وآسيا ومن أشهر لغاتها (الصّينية، اليابانية، التّركية والمغولية...).

3- الفصيلة السّامية: تضم مجموعة من اللّغات كالعربية والعبرية والآكادية والحبشية وغيرها من اللّغات التي شاع استعمالها في منطقة غربي آسيا وفي شبه الجزيرة العربية وما حولها، وترجع هذه التّسمية إلى صحيفة الأنساب الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التّكوين².

¹ - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص: 42.

² - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللّغة العربية، ص: 64.

وأول من استخدم هذا الوصف في إطلاقه على الشعوب السابقة العالم الألماني "شلوتزر" "Schlozer" عام 1718م، وقد اقتبسه مما ورد في "سفر التكوين"¹، من خلال أسماء الشعوب السامية التي تنطبق إلى حد كبير على أسماء أولاد نوح الثلاثة (سام، حام، يافث)، والشعوب التي انحدرت من ولدٍ منهم (عيلام، آشور، أرفكشاد، لود وآرام)².

الموطن الأصلي للساميين:

تعددت آراء الباحثين حول هذه القضية، وبإجماع علماء الاستشراق على أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية إلى ما يُعرف باسم اللغة المشتركة التي تفرعت عنها بقية اللغات، فالأكاديون أول شعبة من الساميين تظهر على مسرح التاريخ، استوطنوا العراق، وعلى هذا نقول بأن العراق - شبه الجزيرة العربية - هو الموطن الأصلي للساميين وقد ثبت أن الأكاديين وفدوا على العراق الذي كانت تقطنه أمة غير سامية - الأمة السومرية - والتي تركت على اللغة الأكادية من الآثار اللغوية ما يجعلها تبتعد إلى حد ما، عن الأصل السامي الذي تفرعت منه³.

فشبه الجزيرة العربية هو الموطن الأصلي للساميين، ومنه نرح الساميون إلى جنوب العراق، وغزوا بلاد السومريين، وتغلبوا على أمرهم، وأنشئوا بهذه المنطقة مملكة سامية عُرفت بـ "دولة بابل"، ومنه كذلك نرح الساميون إلى الشمال، فتكوّنت من سلالاتهم الشعوب التي عُرفت باسم الكنعانية.

ومن الموطن الأصلي للساميين، نرح بعض قبائل الإسماعيلين - نسل إسماعيل عليه السلام - وهم "بنو قيدار" الذين انتقلوا من الحجاز إلى يثرب، و"بنو نابت" الذين خرجوا من الحجاز إلى الشمال. ثم استقروا في منطقة خليج العقبة حيث كوّن كلٌّ منهما مملكة عظيمة، وفيهما ظهر الخطّ النبطي⁴. فهذا النزوح يدلّ

¹ - سفر التكوين "العهد القديم": ويشمل التوراة، وهي أسفار موسى الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد والتثنية). رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 28.

² - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 06. (بتصرّف).

³ - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللغة العربية، ص: 67. عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 11. (بتصرّف).

⁴ - جاء في النقوش النبطية اثنان وعشرون حرفاً، وتسع وعشرون صوتاً، فبعض هذه الأحرف له صوتان، وهي: (الدال، الدال)، (الحاء، الخاء)، (الطاء، الطاء)، (العين، الغين)، (الضاد، الضاد)، (الشين، السين)، (التاء، التاء). سليمان بن عبد الرحمن الديب، قواعد اللغة النبطية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط2، 2011م، ص: 15.

على أنّ الموطن الأصلي للسّاميين، هو شبه الجزيرة العربية، ولعلّ السبب الذي دفع هؤلاء إلى النزوح هو الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.

الخصائص العامّة للغات السّامية:

فإذا نظرنا إلى فصيلة اللّغات السّامية والتي تنتمي اللّغة العربية إليها، نجد أنّ تصنيف لغات هذه الفصيلة يعود إلى التشابه الموجود بينها من حيث مختلف مستويات البنية اللّغوية، وهي:

1- **من النّاحية الصّوتية:** تحتوي اللّغات السّامية على أصوات حلقيّة، حيث نجد الحاء والعين في اللّغة العبرية والعربية والآرامية¹.

لقد أجمع الباحثون على أنّ الطّاء والصّاد والقاف والظّاء والضّاد أصوات شائعة في جميع اللّغات السّامية. كما أثبتت الدّراسات أنّ اللّغة العربية هي اللّغة السّامية الوحيدة التي تحتوي على هذه الأصوات المتكاملة (الهمزة، الهاء، الحاء، الخاء، الطّاء، العين، الغين، الباء، الفاء، الدّال، الذّال، التّاء، الثّاء، الجيم، الكاف، اللّام والميم، النّون والرّاء، الواو والياء، القاف والصّاد والسّين، الشّين والزّاي) تسمى أصوات اللّغة السّامية الأمّ.

أثبتت الدّراسة الصّوتية المقارنة أنّ اللّغة العربية هي اللّغة السّامية الوحيدة التي احتوت على هذا الكم من الأصوات.

2- **من النّاحية الصّرفية:** توجد صيغتين أساسيتين، إحداهما تدلّ على تمام وقوع الحدث وانقطاعه وانقضائه، وهي صيغة الماضي، والثّانية تدلّ على استمرار الحدث وعدم تمامه، وهي صيغة المضارع.

3- **من النّاحية النّحوية:** من مميّزات اللّغات السّامية وجود الجملة الاسميّة القائمة على اسمين دون رابط لفظي. كما توجد فيها الجملة الفعلية، ويكثر فيها وقوع الفعل في أوّل الجملة. امتازت اللّغة السّامية الأمّ بالإعراب، كما هو الحال بالنّسبة للّغة العربية حيث احتفظت بهذه الظّاهرة².

¹ - أحمد شامية، نبيلة عباس، دروس في فقه اللّغة، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة بوزريعة، الجزائر،

2005م-2006م، ص: 109.

² - حلمي خليل، مقدّمة لدراسة فقه اللّغة، ص: 142.

4- من الناحية المعجمية: تشترك اللغات السامية في استخدام الكثير من الكلمات بدلالة واحدة، مثل: ذكر، أنثى، أم، أب...¹

وبناءً على هذا التشابه بين اللغات السامية، رجّح كثير من العلماء أنّ اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية شبهاً باللغة الأمّ لأنّها إحدى اللهجات السامية التي بقيت في بيئتها الأصلية في شبه الجزيرة العربية.

وانطلاقاً من أوجه التشابه اللغوية، استطاع علماء اللغات السامية تقسيم اللغات إلى قسمين، شرقية وغربية:

اللغات الشرقية: هي اللغات البابلية-الأكدية- كما سماها المحدثون من أهل اللغة وفقهاؤها، وقد أطلق عليها الأقدمون اسم اللغات المسمارية²، لأنّ الناطقين بها أخذوا الخط المسماري عن الشعب السومري منذ الألف الثالث قبل الميلاد على وجه التقريب.

أما اللغات الغربية: فهي الأخرى تنقسم إلى شعبتين: **شمالية وجنوبية**، فاللغات الشمالية الغربية تتضمن اللغة الآرامية والكنعانية، والغربية الجنوبية تضمّن العربية الجنوبية والعربية الشمالية والحبشية، فكلّ هذه اللغات كانت في أصل نشأتها لهجات تفرّعت عن اللغة السامية الأم.

1- **اللغات السامية الشرقية (الأكدية):** موطن هذه اللغة، هو بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) في أرض الرافدين - العراق - و(أكاد) في الأصل: اسم المدينة التي بناها (سرجون) في الجزء الشمالي من أرض بابل حوالي سنة (2350 ق م).

¹ - حلمي خليل، مقدّمة لدراسة فقه اللغة، ص: 142.

² - أبْتُكِر الخط المسماري في حوالي سنة 3000 ق.م، واستمرّ هذا الخط في الاستعمال إلى فترة ميلاد المسيح، أي: حوالي 3000 سنة، وآخر رقيم طيني وصل إلينا مؤرخاً بسنة 50 ميلادية، ومع ظهور الخط الآرامي المجائي في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد، وظهور الخط الإغريقي في العصر الهلنستي-فترة في التاريخ القديم- قد أدّى إلى التقليل من الخط المسماري المقطعي بحيث اقتصر استعماله على الفلكيين البابليين في تدوين ملاحظاتهم عن النجوم لأنّ علم الفلك آنذاك كان قائماً على الاصطلاحات البابلية. فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، دار صفحات للدراسات والتّشّير، سورية، 2009م، ص: 15.

واللغة الأكادية اسم جامع أطلقه البابليون في جنوب أرض الرافدين على لغتهم البابلية، ولغة إخوانهم الآشوريين في شمال أرض الرافدين¹، وهي في اصطلاح العلماء المحدثين لهجات بابلية وأخرى آشورية تمثلت في: اللغة الأكادية البابلية، اللغة الأكادية الآشورية².

2- اللغات السامية الشمالية الغربية: تنقسم هذه اللغات إلى قسمين، قسم كنعاني، وآخر آرامي.

أ- القسم الأول (اللغة الكنعانية): هي لغة القبائل العربية التي نزلت من القسم الغربي من شبه الجزيرة العربية (فلسطين، سوريا وبعض جزر البحر الأبيض)، وهي تشمل اللهجات التالية: (الأجريتية، الكنعانية القديمة، المؤابية، الفينيقية والعبرية).

ب- القسم الثاني: (اللغة الآرامية): في الفترة الممتدة ما بين سنتي (300 ق م، و650 بعد الميلاد) بلغت اللغة الآرامية ذروة مجدها في جميع بلاد العراق، وفي سورية وفلسطين وما جاورهما. وانقسمت هي الأخرى إلى ثلاث لهجات: (الآرامية الغربية القديمة، آرامية التدوين، الآرامية الفلسطينية الحديثة).

وقد انتهت اللغة الآرامية وانقرضت من لغة التخاطب في معظم مناطق سوريا وفلسطين، بعد أن اقتحمت اللغة العربية معازل الآرامية حتى قضت عليها، وقد لقيت العربية مقاومة عنيفة في المناطق الجبلية من القسم الغربي من بلاد لبنان وما إليها، حيث استغرق الصراع بينها وبين الآرامية عدة قرون، وظلّ الصراع طويلاً حتى تغلبت العربية عليها في أواخر القرن السابع الميلادي³.

3- اللغات السامية الجنوبية الغربية: يضم هذا القسم من اللغات: (العربية والحبشية).

أ- اللغات الحبشية: كان اليونانيون يطلقون على منطقة "الحبشة" بأثيوبيا وأريتريا"، نسبة إلى بعض من هاجر إليها من القبائل، فقد قيل: إنّ قبيلة سامية هاجرت إليها تسمى "الحبشت"، أو نسبة إلى قرية في اليمن، وأهم القبائل التي هاجرت إلى الحبشة قديماً "قبيلة حبشت" و"قبيلة الأجعازي"، والتي من لغاتها:

¹ - ينظر: رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 26.

² - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللغة العربية، ص: 74-75.

³ - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 69. (بتصرف).

(الجعزية، الأمهرية والتيجرية)، وتعد "اللغة الجعزية" أو "الحبشية القديمة" أقدم لغات هذا القسم التي يرتد تاريخ آثارها إلى سنة 350م¹.

وفي القرن السابع قبل الميلاد، هاجر الساميون إلى الحبشة، فاشتبك لسان هؤلاء الساميين المهاجرين مع لغات السكان الأصليين "الحامية"، حيث انتهى هذا الصراع بتغلب لغة الساميين. كما تعدّ اللهجات الحبشية من الشعبة السامية الجنوبية²، فهي تُؤلف مع اللغات اليمنية والعربية شعبة واحدة، فوجوه الشبه بينها وبين هذين الفرعين في أصول المفردات والقواعد والأصوات أقوى كثيراً من وجوه الشبه بينها وبين بقية اللغات السامية. غير أنّ احتكاكها باللهجات الحامية التي كان يتكلمها السكان الأصليون ترك آثاراً كثيرة من هذه اللهجات³.

¹ - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص: 53، 54.

² - عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللغة العربية، ص: 83. (بتصرّف).

³ - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 34.

المحاضرة الرابعة: اللغة العربية ولهجاتها.

نشأة العرب وموطنهم:

كلمة "عرب" قبل الإسلام، يراد بها سكان الجزيرة؛ أي: جزيرة العرب فقط، وهي بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إلى ذلك، ولذلك نُسبت العربية إلى هؤلاء العرب الذين وُجدوا في هذه المنطقة، قبل أن يُعرّفوا بهذا الاسم بين جيرانهم من الأمم الأخرى، وهؤلاء العرب من سلالة "سام" بن نوح عليه السلام. ويُرجّح بعض الباحثين نسبة العرب إلى "يعرب" جدّهم الأعلى، مع أن هناك آراءً أخرى في هذه التسمية، قال ابن منظور: "اختلف الناس في العرب لم سُموا عرباً؟ فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان، وهو أبو اليمن كلّهم، وهم العرب العاربة، نشأ إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - معهم، فتكلّم بلسانهم، فهو وأولاده (العرب المتعربة)، وأن إسماعيل عليه السلام بلسانهم نطق، ومن لغتهم أخذ، وإثما كانت لغته أبيه (صلى الله عليه وسلم) العبرية...¹.

إنّ الموطن الأصلي للساميين جميعاً هو شبه الجزيرة العربية، فهي لم تكن موطناً للعرب فقط، وإثما كانت للساميين عموماً، والعرب يُنسبون إليهم، فهم فرع من فروع اللغة السامية، وكلّ الساميين خرجوا من شبه الجزيرة العربية إلى الأماكن التي نزلوا فيها نظراً لما احتفظت به من أصول سامية - مفرداتها وقواعدها - حيث إنّ لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى.²

وعلى هذا فقد نسبت العربية إلى العرب، الذين وجدوا في شبه الجزيرة العربية، فهم من أقدم الأمم

التي عرفها التاريخ .

أولية اللغة العربية:

لم يسجل التاريخ لنا كثيراً عن نشأة اللغة العربية، ولم يصل العلماء بعد إلى الصورة التي بدأت بها العربية، فتاريخها راجع إلى عصور ما قبل الميلاد بقرون كثيرة، ولم نعرف ما طرأ عليها من تطوّرات في هذه الأزمنة البعيدة، ومّا يدلّ على قدمها أنّ الأستاذ الكبير "عبّاس محمود العقاد" كتب كتاباً قرّر فيه أنّ الثقافة العربية أقدم وأسبق من الثقافة اليونانية والعبرية.

¹ - ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، ص: 31.

² - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 16.

فتاريخ اللغة العربية قديم ولكنّه مجهول، ولم يرد لنا شيء عن طفولة هذه اللغة وتطورها سوى الأدب الجاهلي والقرآن الكريم والتراث اللغوي المتأخّر عنهما، وبعض النقوش التي وجدت في شبه الجزيرة العربية بعضها ظهر في القرن الثاني الميلادي والرابع والسادس الميلادي. يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "يُقرّر معظم الباحثين أنّ أول هجرة سامية إلى الحبشة كانت من بلاد اليمن تبين رجحان الرأي الذي نحن بصددّه وهو أنّ المهدي الأول لجميع الشعوب السامية كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة (بلاد نجد، الحجاز واليمن...)".¹

أقسام العرب: قسّم بعض المؤرخين العرب إلى ثلاثة طبقات:

1- عاربة. 2- مستعربة. 3- بائدة.

وهناك من قسّم العرب إلى طبقتين فقط:

1- عاربة 2- مستعربة.

وهناك من قسّم العربية إلى شمالية وجنوبية أو إلى بائدة وباقية:

1-عرب الجنوب (العاربة أو القحطانية):

هناك قسم من العرب كان يعيش في جنوب الجزيرة- اليمن قديماً- وهذا القسم من العرب كان يطلق عليهم القحطانيون، أو السبئيون تسمية لها بإحدى لهجاتها الشهيرة التي تغلبت عليها، وقد عُرفت هذه اللغة من النقوش المدوّنة على بعض التماثيل، القبور...²

وقد اشتملت اليمن قديماً على عدّة دويلات لها لهجاتها وهي: (المعينية، السبئية، الحِميرية، الحضرمية والقحطانية)، وكلّ دولة تركت نقوشاً لها تمثل لغة كلّ دولة، فهي في أصلها لهجات تختلف عن العربية اختلافاً جوهرياً في كثيرٍ من مظاهر الصّوت والدلالة والقواعد والأساليب والمفردات.

1-اللهجة المعينية: نسبة إلى المعينيين الذين نشأوا في جنوب اليمن، لغتها لم تُعمّر طويلاً، ففي نهاية

القرن الأول قبل الميلاد ذابت في دولة سبأ التي تستمدّ منها نفوذها. والسّمة التي امتازت بها استخدام

¹ - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 13.

² - حلمي خليل، مقدّمة لدراسة فقه اللغة، ص: 147.

السّين فيها، فوزن "أفعل" مثلاً في العربية الشّمالية يُقَابِلُهُ في المعينية "سَفعل"¹.

2- **اللّهجة السّبئية:** وهي تُنسب إلى السّبئيين الذين أقاموا دولتهم على أنقاض الدّولة المعينية، وقد عُرفت لهجتهم باسم اللّهجة السّبئية، واتّخذوا مدينة " مأرب " عاصمة لهم، وهي مملكة ذات حضارة وشأن عظيم². ويُقال إنّها كانت موجودة في زمن نبيّ الله سُلَيْمان بن داود -عليهما السّلام- الذي تُؤيّد سنة (957 ق م)، وهذا يُثبت وجودها في القرن العاشر قبل الميلاد.

فمن سماتها أنّها تَسْتَحْدِمُ " الهاء " في كثير من الصّيغ الصّرفية، فوزن التّعديّة في العربية الشّمالية " أفعل " يُقابله في السّبئية " هفعل ". لذا يُعدّ الفعل " أراق " في العربية الشّمالية أصيلاً، في حين يُعدّ الفعل " هراق " دخيلاً من العربية الجنوبية إلى الشّمالية.

3- **اللّهجة الحميرية:** نسبة إلى جماعات " حمير "، التي ظلّت تنازع السّبئيين السّلطان مدّة طويلة بدون أن تقوى على انتزاعه من أيديهم، ويُقال إنّها امتداد لهم، فهم فرع من السّبئيين من حيث النّسب، وقد قامت دولة حمير من سنة (115 ق م)، وظلّت إلى ما بين سنتي 300-375 م³، فاشتبكت لهجتهم في صراع مع اللّهجة السّبئية، ولكنّها لم تقوى على التّغلب عليها⁴.

4- **اللّهجة الحضرية:** وهي اللّهجة التي أنشأتها القبائل التي تعيش في منطقة "حضر موت"، وهي منطقة حضارة زاهرة، ظلّت تُنازع السّبئيين مدّة طويلة، وفي النّهاية كُتِبَ النّصر "لسبأ" عليها، وأزالتها من الوجود⁵.

5- **اللّهجة القتبانية:** وهي تُنسب إلى قبائل "قُتبان"، التي أنشأت مملكة كبيرة في مناطق سكناهم في وادي "بيحان وحريب"، وهي المناطق السّاحلية الواقعة شمال عدن، وقد نشبت بينهم وبين سبأ حروب كثيرة، وكان من نتائجها اندماج القبائل القتبانية في القبائل السّبئية التي غلبتها على أمرها في أواخر القرن الثّاني قبل الميلاد.

¹ - عبد التّواب مرسي حسن الأكرت، فقه اللّغة العربية، ص: 92. (بتصرّف).

² - حلمي خليل، المرجع السّابق، ص: 148.

³ - عبد التّواب مرسي حسن الأكرت، فقه اللّغة العربية - نشأته وتطوّره، ص: 93.

⁴ - علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص: 77.

⁵ - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص: 53. (بتصرّف).

من خلال ما ذكرناه عن اللهجات اليمنية القديمة، اتضح لنا أنّ لهجة "سبأ" هي التي تغلبت على باقي اللهجات اليمنية الأخرى، وظلت لها السيادة في بلاد اليمن القديمة، وأكثر النقوش التي عُثر عليها مدوّنة باللهجة السبئية وُجِدَت في منطقة "العلّا" في الواحات الواقعة شمال بلاد الحجاز، ومنها ما عُثر عليه في المناطق الشّمالية المتاخمة لبلاد كنعان، فهي أقدم اللهجات اليمنية.

لقد تمّ تدوين النقوش السبئية بالصّوامت دون صوائت، إنّها لغة يمنية قديمة موقوفة، أي: أنّها غير معربة، كُتِبَت بخط المسند¹.

احتفظت اللهجة السبئية بتنوين الأسماء، كذلك هناك تطوّر من ناحية اللفظ، حيث إنّ بعض حروف الصّغير مثل: "السّين" يُحُلُّ في اللهجات محل الهاء في الضّمير المنفصل "هو" و"هي". كما ظهرت أداة التعريف في العربية الجنوبية "لا" مثل "ال" في العربية الفصحى.

2-عرب الشمال (المستعربة أو العدنانية):

العربية الشّمالية هي اللّغة التي انتشرت في أقدم موطن للسّاميين في شبه الجزيرة العربية في كلّ من الحجاز ونجد وحمّامة، وهذه اللّغة لا نعرف عن طفولتها وما اجتازته من مراحل في عصورها الأولى، فأقدم ما وصل إلينا من آثار العربية البائدة منها لا يكاد يتجاوز القرن الأوّل قبل الميلاد، وأقدم ما وصل إلينا من آثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد.

وعلى ضوء هذه الآثار التي عُثر عليها، قسّم الباحثون العربية الشّمالية إلى قسمين:

أ. العربية الباقية: وهي التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب. وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسّنة النبوية الشريفة. والواقع أنّ مجيء الإسلام ونزول القرآن بتلك اللّغة الأدبية قوّى من تلك الوحدة اللّغوية، وزاد فزاد وقوّى من شمولها، وكان تحدّيه لخاصة العرب وبلغائهم أنّ يأتوا بمثله أو بآية من مثله أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللّغوية؛ على حين دعا العامّة إلى تدبّر آياته وفقهها². كما

¹ - خط المسند: مشتق من الرّسم الكنعاني، أشكاله هندسية، إنّّه خط أبجدي كُتِبَت به النقوش. يشتمل على تسعة وعشرين حرفاً صامتاً، ويكتب في الغالب مستعرضاً من اليمين إلى الشّمال، وقد سُمّي بذلك لأنّ حروفه تستند إلى أعمدة، وتمثّل بذلك طرازهم المعماري الذي كان يركّز على الأعمدة في تشييد القصور والمعابد السّدود. عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللّغة العربية- نشأته وتطوّره، ص: 94. علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص: 78.

² - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط06، 1984م، ص: 41. (بتصرّف).

أعانهم على ذلك بالتوسعة في القراءات، ومراعاة اللهجات في أحرفه السبعة¹، فقد روى ابن الجزري في الجزء الأول من كتابه "النشر في القراءات النثر": "كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة وألستهم شتى، يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك... ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم حيث أتاه جبريل فقال له: "إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفٍ، فقال صلى الله عليه وسلم أسأل الله معافاته ومعونته، إن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف..."².

والوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره وقواها قرآنه بعد نزوله لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عملياً قبل الإسلام وبقائها بعده، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى أقاليمهم يتحدثون بتلك اللغة المثالية الموحدة؛ وإنما كانوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم وخصائص ألسنتهم³. يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "إن ما وصل إلينا من الآثار الأدبية يمثل اللغة العربية في عنفوان اكتمالها وعظمتها، بعد أن اجتازت مراحل كثيرة في التطور والارتقاء وبعد أن تغلبت لهجاتها، وهي لهجة قريش على أحوالها..."⁴، كما يقول الدكتور خليل نامي في كتابه دراسات في اللغة العربية: "تكوّنت اللغة المشتركة أو اللغة الأدبية بالفترة الواقعة بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وهذه الفترة التي شهدت اكتمال ونضوج اللغة العربية، كما ارتبطت بظهور الشخصية العربية التي اتخذت الكتابة النبطية في ذلك الوقت واتسمت بالطابع العربي الأصيل، وهذا خير دليل على أن تكون الشخصية العربية وتكاملها لا يتأتى إلا بتكامل اللغة العربية وسيرها نحو الكمال والنضج"⁵.

¹ - الأحرف السبعة: نقول الأوجه السبعة، والمقصود ههنا: بالأحرف السبعة هي سبع لغات أو لهجات العرب بكل ما فيها من نواحي الاختلاف (لغة قريش، هذيل، تميم، ازد، ربيعة، هوزان وسعد بن بكر). منها خمس بلغة العَجَز من هَوَازن وهم الذين يُقال عنهم غُلَيّا هَوَازن، وهي خمس قبائل أو أربع، منها سَعْدُ بن بكر، وَجَشْمُ بن بكر، وَنَصْرُ بن مُعاوية، وَثَقِيف. ابن فارس، الصّاحي في فقه اللغة، ص: 32.

² - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص: 56.

³ - صبحي الصّاح، دراسات في فقه اللغة، ص: 60. كريم زكي حسام الدّين، العربية تطوّر وتاريخ - دراسة تاريخية لنشأة العربية والخط وانتشارها، 2003م، ص: 30.

⁴ - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 108.

⁵ - كريم زكي حسام الدّين، العربية تطوّر وتاريخ، ص: 33.

ويبدو أنّ اللّغويين الأقدمين لم يعرضوا للّهجات العربية القديمة في العصور المختلفة عرضاً مفصلاً يقفنا على الخصائص التعبيرية والصّوتية لتلك اللّهجات يقول الدكتور إبراهيم أنيس في هذا الشأن: " ولم تشمل القراءات القرآنية، على كلّ تلك الصّفات لم تكن من الشّيوخ بين القبائل ما استحقّت معه، في رأي القراء، أن يقرأ بها، أو بعبارة أخرى ما استحقّت معه أن تذكر بين القراءات القرآنية المشهورة"¹.

أقسامها: قسّمها العلماء إلى شعبتين :

الأولى: حجازية غربية؛ وهي لهجات البيئات الحضرية في مكة والمدينة وما إليها (اللّهجة القرشية) .

الثّانية: نجدية شرقية؛ وهي لهجات البيئات البدوية في وسط الجزيرة وشرقيها (اللّهجة التّميمية).

ب. العربية البائدة (عربية النّقوش):

وهي العربية التي بادت لهجاتها قبل الإسلام، حيث ظهر على آثارها الطّابع الآرامي لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد والحجاز، وتسمى أيضاً بالعربية القديمة، والتي تمتد ما بين القرن الخامس قبل الميلاد حتّى القرن الرّابع الميلادي، والتي من أهم لهجاتها (الثمودية، الصّفوية واللّحيانية).

- النّقوش الثّمودية: هي اللّهجة المنسوبة إلى قبائل ثمود التي جاء في القرآن ذكرها، والتي ترجع إلى سنة (267م)، ويميل الباحثون إلى تأريخها اعتماداً على قرائن تخصّ أشكال الحروف، فالحروف المتشابهة تكون من فترة زمنية واحدة وكلّما تباينت أشكال الحروف كانت من فترات زمنية متباعدة، ووفق هذا المعيار يُؤرّخ أقدم النّقوش الثّمودية بالقرن الخامس قبل الميلاد، ويُؤرّخ أحدثها بالقرن الرّابع الميلادي، وقد وجدت هذه النّقوش في مدائن صالح شمال غرب الجزيرة العربية وفي مناطق أخرى مجاورة لها.² وقد دُوّنت بخط جميل أنيق مشتق من الخط "المسند"، يتّجه من أعلى إلى أسفل، يبلغ تعداد هذه النّقوش ما يزيد على ألف وسبعمائة نقش.

- النّقوش الصّفوية: هي اللّهجة المنسوبة إلى منطقة الصّفا، وقد عثر عليها في مواطن مختلفة جنوب دمشق، ويرجع تاريخ هذه النّقوش إلى ثلاثة قرون، الأوّل والثّاني والثّالث بعد الميلاد. يبلغ عددها ما يزيد على ألفين، وهي مكتوبة بخط يعتريه التّغير والاختلاف.

¹ - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، ص: 59.

² - محمود فهمي حجازي، أسس علم اللّغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنّشر، القاهرة، 2003م، ص: 227.

- **النقوش اللّحيانية:** هي اللّهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان، التي يرجّح أنّها كانت تسكن شمال الحجاز قبل الميلاد، في منطقة العُلا، وقد عثر على نقوشٍ كثيرةٍ تذكر أسماء ملوك لحيان وأغلب الاحتمالات أنّ تاريخها يعود إلى ما بين سنتي 200 و400 (ق. م)، والخط الذي كتبت به مشتق من (المسند)، ويسير مستعرضاً من اليمين إلى الشّمال.

ومع أنّ هذه المجموعة من اللّهجات الثّلاث (الثّمودية، الصّفوية، اللّحيانية) لم تصل إلينا إلّا عن طريق نقوشٍ قليلة الأهمية، امتازت بأمرين؛ أحدهما أنّها أقرب لهجات العربية البائدة إلى الفصحى. والآخر، أنّ الخط الذي دُوّنَت به (النقوش الثّمودية والصّفوية واللّحيانية) هو خط أبجدي يقوم على أساس الخطّ الأبجدي العربي الجنوبي القديم¹ إذ يعتبر المرحلة الأولى في تطوّر الخط العربي وانتشاره².

العربية في العصر الجاهلي وصدور الإسلام:

تغلّبت العربية الشّمالية على العربية الجنوبية، وحلّت محلّها في كلّ بقاع الجزيرة مع وجود بعض الفروق اللّهجية الصغيرة بين عربية الجنوب كالحميريّة، وعربية الشمال العدنانية، ونظراً لهذا التّغلب أنكر بعض العلماء وجود الصّلة بين كلّ من العربية الشّمالية والعربية الجنوبية.

فقد قال أبو عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيّتهم بعريّتنا، فكيف بها على عهد عاد وثمود..."، فالعربية كانت في الحجاز ونجد وحمّة، وهي التي تسمى بالعربية الشّماليّة، واستطاعت في القرن السّادس الميلادي، أن تبسط نفوذها في الجزيرة كلّها، وتدخل اليمن مرة أخرى وتسيطر على جنوبي الجزيرة، بعد أن ضُعِفَت نتيجة الغزوات المتتالية من الفرس والأحباش، وتبعهم الزحف اللّغوي، فتوحّدت حينئذ لهجات الشّمال والجنوب في لغة عامة واحدة قبل الإسلام بحوالي مائة وخمسين عاماً تقريباً.

ومّا يؤكّد لنا تفوق اللّهجات الشّمالية على الجنوبية، أنّ هجرة اليمنيين إلى الشّمال أخذت أكثر من شكل، هاجروا على شكل قبائل بدوية، نسيت لغتها، وتكلّمت بلغة الشّمال كقبيلة طيء، وأزد،

¹ - محمود فهمي حجازي، أسس علم اللّغة العربية، ص: 229.

² - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص: 56.

تميم... وغيرهم، فالقبائل التي هاجرت من الجنوب إلى الشمال، سلكت منهج البيئة الجديدة في لغتها لاختلاف الحياة الاجتماعية بينهما (اختلاف أحوال الحياة في الشمال والجنوب).

وأصبحت اللغة السائدة الباقية - لغة الأدب - عند جميع قبائل العرب شمالاً وجنوباً لهجة قريش، فهي تمثل العربية العربية المشتركة¹ - عربية التراث - استخدمها كافة العرب لنظم أشعارهم. كما جاء في كتاب ابن فارس " الصّاحي في فقه اللغة العربيّة ومساثلها ": " كانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألستها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم² وسلائقهم³ التي طُبِعُوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب"⁴.

والمقصود بعربية التراث ههنا، تلك اللغة العربية التي وردت إلينا نصوصها ممثلة في صورة أدبية حيناً (الشعر الجاهلي، والأمثال العربية القديمة، وما رُوِيَ عن خطباء العرب وكهاتهم في الفترة التي سبقت بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم)، كما تشمل أيضاً نصوص القرآن الكريم، وما ثبت صحته من الحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة وخطبهم ووصاياهم - رضوان الله عليهم أجمعين - وتمتد هذه الفترة لتشمل أيضاً عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية، وجزءاً من عصر بني العباس، أي أنها تمتد حتى منتصف القرن الثاني الهجري)، أما الصورة الثانية: فنلاحظها في فيما رُوِيَ لنا في بطون كتب اللغة، والأدب عن لهجات القبائل العربية...⁵.

هذه الفترة التي شملت العصر الجاهلي كلّ، وعصر الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري تعدّ من أنقى المراحل اللغوية، لأنّ اللغة فيها كانت سليمة خالية من كلّ مظاهر اللّحن، وقد قام العلماء في تلك الفترة بتدوينها من أفواه أصحابها الفصحاء قبل أن توضع لها القواعد.

¹ - يقول ابن خلدون في كتابه المقدّمة: "... كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية، وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثمّ من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة، وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم. وأمّا من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والزوم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم. وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصّحة والفساد عند أهل صناعة العربية". عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة، مج 01، ط 02، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م، ص: 1072.

² - نحائز: جمع نخيزة، وهي الطّبيعة.

³ - سلائقهم: جمع سليقة، وهي الطّبيعة.

⁴ - ابن فارس، الصّاحي في فقه اللغة العربية، ص: 28.

⁵ - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 77. (بتصرّف).

ولما أراد العلماء تقعيدها اعتمدوا على عدّة مصادر نذكر:

-الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحقّ نهاية العصر العباسي الأول.

-القرآن الكريم وقراءاته.

-الحديث النبوي الشريف الذي روي بلفظه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وليس بمعناه.

-أخبار المغازي والسير.

-كلام العرب شعراً ونثراً؛ المقصود به: "كلام الفصحاء منهم الموثوق بعريبتهم".

إنّ الخصائص العامّة التي رواها النّحاة واللّغويون العرب عن الفصحى في تلك الفترة،

فيها مزج بين مستويين من مستويات اللّغة (فئتين)، ينبغي التّفريق بينهما، وهما:

أ- العربية المشتركة: التي كان يفهمها ويتعامل بها الخاصّة من القوم، اللّغة التي استحقت أن تُروى آثارها

ويُعتزّز بها طويلاً¹، وهي تلك اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم، ونُظِمَت بها الأشعار.

ب- اللّهجات المحليّة: التي كان يتعامل بها أفراد القبائل المختلفة في حياتهم اليوميّة، وأحاديثهم ذات

الطابع المحلي في اللفظ والدّلالة، نتيجة انعزال القبائل أولاً، ونتيجة التّطوّر المستقل لكلام كلّ قبيلة ثانياً².

¹ - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 40.

² - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 38.

المحاضرة الخامسة: الترادف (أسبابه، اختلاف الدارسين حول وجوده):

إذا كان الإنسان من خلال اللغة يهدف إلى الإبانة والإيضاح، ويسعى عن طريقها إلى إظهار مشاعره وانفعالاته، فإنه عندما يفعل ذلك يكون واعياً بمدلولات الألفاظ، وقد يُدرك بدرجة ما الفروق الدلالية بين الألفاظ، ويستطيع المرء بأدائه اللغوي الذي تَمَرَسَ عليه أن يُنتج جملاً عديدة لم يكن قد سمعها، أو قرأها أو تعلمها من قبل ممَّا يُؤدِّي إلى أن يستقرَّ في ذهنه دلالة اللفظ، فيعرف أنه قد يكون ثمة ترادف-تقارب- بين لفظين، ولكن قد يختلف مدلول كل منهما عن الآخر.

المفهوم اللغوي للترادف: جاء في "مقاييس اللغة" لابن فارس (395هـ) في مادة (ردف): "الراء والدال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء. فالترادف: التتابع، والردف: الذي يُرادفك".¹ وجاء في المختار من صحاح اللغة: "ردف الردف: المتردِّف، وهو الذي يركب خلف الركب، وأردفه: أركبه خلفه، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه. وردفه- بالكسر- أي: تبعه. يُقال: نزل بهم أمر فردف لهم آخر أعظم منه، وأردفه: أتبعه. واستردفه: أي: سأله أن يُردفه. والترادف: التتابع".²

وجاء في كتاب العين: "ردف: الردف: ما تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، والجمع: الرُدافي، ويُقال: جاء القوم رُدافي؛ أي: بعضهم يتبع بعضاً".³ ومنه "المترادف من القوافي؛ أي: ما كان ساكنه الأخير غير مفصولين بحركة، بل يجتمع فيه الساكنان، وإنما سُمي بذلك لأن أحد الساكنين ردف الآخر".⁴ ومن التعاريف المذكورة آنفاً، ومن خلال ما تمَّ إيرادُه نخلص إلى أن الترادف في اللغة يعني التتابع والتوالي.

الحد الاصطلاحي:

ربما يكون سيبويه (ت180هـ) أول من أشار إلى ظاهرة الترادف في الكلام حين قسم علاقة الألفاظ بالمعاني إلى ثلاثة أقسام، فقال: "اعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر، 1399هـ-1979م، ج2، ص: 503. (ردف).

² - محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص: 190 - 191. (ردف).

³ - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج8، ص: 22-23. (ردف).

⁴ - محمد حماسة عبد اللطيف، البناء العروضي للقصيد العربية، دار الشروق، ط01، 1420هـ-1999م، ص: 226.

اللفظين والمعنى واحد، واتَّفَقَ اللفظين والمعنى واحد... نحو: ذَهَبَ وانطَلَقَ.¹

وقد عرّفه فخر الدين الرازي (ت606هـ) بقوله: "هي الألفاظ المفردة الدالة على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ واحترزنا بقولنا: "المفردة" عن الرّسم والحد، ويقولنا: "باعتباره واحد" عن اللفظين إذ دلّلاً على شيءٍ واحدٍ باعتبار صفتين: كالصّارم والمُهَنّد، أو باعتبار الصّفة وصِفة الصّفة كالفصيح والناطق: فإنّها من المتباينة".²

كما نجد الجرجاني (ت816هـ) الذي عرّفه في كتابه "التعريفات" بأنّه: "ما كان معناه واحدٌ وأسماءه كثيرة"³، إذ هو عبارة عن وجود كلمةٍ أو أكثر، لها دلالة واحدة، أي: أنّ الكلمات هنا هي المتعدّدة، أمّا المعنى فغير متعدّد.

والترادف في الاصطلاح البلاغي هو: "توالي وتتابع الألفاظ المفردة على معنى واحد... وذلك بأنّ يدلّ لفظان أو أكثر على معنى واحد، دلالة حقيقية أصلية، أي وُزُوْدُ لفظين أو أكثر مختلفين في الاشتقاق، متفقين في المعنى، بحيث يدلّان عليه دلالة حقيقية، بدون فروق بينهما"⁴.

فالتّرادف إذاً هو أنّ يدلّ لفظان مُنفَرِدَانِ فأكثر دلالة حقيقية مُستقلة على معنى واحد، باعتبار واحد، فكلّ كلمةٍ لها دلالة خاصة بها فالجذر المُعْجَمِي (ر-ج-ع) في الأصل لمعنى مُحدّد، وكذلك الأصل الآخر (ع-أ-د) فتقارُب معناه لا يعني بأنّهما مُترادفان، بل يُوجدُ فروقٌ بينهما، ولهذا كان التّرادف نقطة حساسة في اللّغة.

وتعدّ ظاهرة التّرادف في اللّغة العربيّة من أبرز خصائص اللّغة العربيّة، وهذا ما لفت أنظار العلماء، فأولّوها عناية ملحوظة، ومما يدلّ على اهتمامهم، أنّ بعضهم قد أفرَدَ كتباً للكلمات المترادفة، فألف ابن

¹ - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط03، 1408هـ-1988م، ج1، ص: 24.

² - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، ط3، 1418هـ، 1997م، ص253.

³ - السيد الشريف علي الجرجاني، التعريفات دار الكتاب العربي، بيروت 1985، ج1، ص253.

⁴ - عبد الرحمن الشايع، الفروق اللغوية وأثرها في التفسير، مكتبة الحبيكان، الرياض 1993، ص62.

خلويه (ت370هـ) كِتَاباً فِي "أَسْمَاءِ الْأَسَدِ"¹ وَذَكَرَ فِيهِ خَمْسَمِائَةَ اسْمٍ، وَكِتَاباً فِي "أَسْمَاءِ الْحَيَّةِ"²، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الثَّعَالِيُّ فِي تَفْصِيلِ أَسْمَاءِ الْحَيَّاتِ وَأَوْصَافِهَا عَنْ الْأَثَمَةِ: "الْحَيَاتُ وَالشَّيْطَانُ الْحَيَّةُ الْخَبِيثَةُ، الْخَنْشُ مَا يَصَادُ مِنَ الْحَيَّاتِ، وَالْحَيَّاتُ الذَّكَرُ مِنْهَا، الْحُقَّاتُ وَالْخِضْبُ الضَّخَمُ مِنْهَا وَذَكَرُ حَمْزَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَصْفَهَانِيَّ أَنَّ الْحُقَّاتَ ضَخَمٌ مِثْلُ الْأَسْوَدِ أَوْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَرَبَّمَا كَانَ أَرْبَعُ أَذْرَعٍ وَهُوَ أَقْلُ الْحَيَّاتِ أَذَى، وَالْأَفْعُوانُ: الذَّكَرُ مِنَ الْأَفَاعِي، الْعَرِيدُ، وَالْعَسُودُ حَيَّةٌ تَنْفَخُ وَلَا يُؤْذِي، الْأَرْقَمُ الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ، وَالْأَرْقَشُ نَحْوُهُ، ذُو الطُّعَيْتَيْنِ الَّذِي لَهُ خَطَانُ أَسْوَدَانِ، الْأَبْتَرُ الْقَصِيرُ الذَنْبِ، الْحَشَّاشُ الْحَيَّةُ الْخَفِيفَةُ، الثَّعْبَانُ الْعَظِيمُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ الْأَنْمُ وَالْإِنُّ..."³ كَمَا أَلَّفَ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي (ت817هـ) كِتَاباً أَسْمَاءُ الرُّؤُوسِ الْمَسْلُوفِ فِيمَا لَهُ أَسْمَانِ إِلَى الْأُلُوفِ"⁴، وَكِتَاباً آخَرَ أَسْمَاءُ "تَرْقِيقِ الْأَسَلِ لِتَصْفِيقِ الْعَسَلِ"⁵، حَيْثُ ذَكَرَ فِيهِ لِلْعَسَلِ ثَمَانِيَةَ أَسْمَاءٍ.

ومن هذه الأسماء نذكر: "العسل، والضَّرب، والضَّربة، والضَّريب، والشَّوب، والدَّوب، والحَميت، والتَّحْموت، والحلس، والورس، والأري، والإذواب، واللَّومة، واللَّم، والتَّسيل، والنَّسيلة، والطَّرم والطَّرم، والطرام، والطَّرم، والدستفشار، والمستفشار، والشَّهد، والشَّهد، والمحزان، والعُفافة، والعُنُقوان، والمادي، والمادية، الطَّن، والطَّن، والبلة، والبلة، والسَّنوت، والسَّنوت، والسَّنوة، والشراب، والغرب، والأس، والصَّبِيب، والمزج، ولُعَابُ النَّحْلِ، والرُّضَاب، ورُضَابُ النحل، وجنى النحل، ورِيْقُ النحل، وقِيْئُ الزنابير، والشَّور، والسَّلوى، ومُجَاجُ النَّحْلِ، والتَّوَاب، والحافظ، والأمين، والضَّحل، والشَّفاء، واليمانيَّة، واللَّوَّاص، والسَّلِيْق، والكُرْسُفِي، واليعقيد، والسَّلوانة، والسَّلوان، والرَّحْف، والجنى، والسَّلاف، والسَّلاف، والسَّرو، والشَّرو، والصميم، والجثُّ، والصَّهْبَاء، والخيم، والخو، والضج، والسَّدى، والرَّحِيق والرَّحاق، والصَّموت،

¹- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط 03، 1405هـ - 1985م، ص: 230. / أحمد الشرقاوي إقبال، مُعْجَمُ الْمُعَاجِمِ، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1987م، ص: 286. / السيوطي، المزهري، ج 1، ص: 320.

² - ينظر : أحمد الشرقاوي إقبال، مُعْجَمُ الْمَعَاجِم، ص: 284. /السّيوطي، المزهري، ج 1، ص: 320. /أحمد بن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة وسنن العرب في كلاميّها، تح: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ-1997م، ص: 22.

³ -Abou Mansour El Te Halebi ,Fekh-El-Logat ,courrigé ,ponctur et publier par :

ROCHAID DAHDAH.1861.P :90 .

⁴ - أحمد الشرقاوي إقبال، مُعْجَمُ الْمُعَاجِم، ص: 284. /السّيوطي، المزهري، ج1، ص: 320.

⁵ - أحمد الشرقاوي إقبال، *مُعْجَمُ الْمَعَارِفِ*، ص: 284. / السيوطي، *المزهر*، ج 1، ص: 320.

والمُحْ، والمُجْلِب، والحَلْب، والعَكْبُر، والنَّحْل، والأصْهَانِيَّة¹. ومع ذلك لَمْ يَسْتَوْفَهَا جَمِيعًا فيما يزعم السيوطي (ت911هـ) ففاته منها اثنان،

أَوَهُمَا: "الصَّرْخَدِي"² وقد ذكره أبو علي القالي (ت356هـ) والثاني "السَّعَائِب"³ الذي ذكره الرَّجَاجِي (ت339هـ).

وقضية "التَّرَادُفِ" من القضايا التي شغلت القدماء و المحدثين على السَّواء، وكان لها مؤيدون ومنكرون. فمنهم من أكدَّ على وجود التَّرَادُفِ بمعناه الشَّامِل في اللُّغة، من هؤلاء ابن جني (ت392هـ)، وابن سيِّدة (ت485هـ)، ومنهم من أنكر وجود التَّرَادُفِ التَّام باعتبار أنَّ ثَمَّة شُحْنَة دلالية في كلِّ لفظ لا توجد في نظيره، ومن هؤلاء ابن الأنباري (ت237هـ)، وابن فارس (ت395هـ)، وأبو هلال العسكري (ت395هـ). فهؤلاء وغيرهم مَن تَبِعَهُم في قولهم - لَمْ يُنْكِرُوا إمكانية وقوع التَّرَادُفِ بمعناه العام، ولكنهم تَنَبَّهُوا إلى وجود فروق دقيقة بين المتَرَادِفَات.

فهذا ابن الأعرابي (ت231هـ) يُؤكِّد عدم إيمانِهِ بِوُقُوعِ التَّرَادُفِ الكامل بين الكلمات، فيقول: "كُلُّ حَرْفَيْنِ أَوْقَعَتْهُمَا الْعَرَبُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، فِي كُلِّ مِنْهُمَا مَعْنَى لَيْسَ فِي صَاحِبِهِ، رُبَّمَا عَرَفْنَاهُ فَأَخْبَرْنَا بِهِ، وَرُبَّمَا غَمَضَ عَلَيْنَا فَلَمْ نَلْزِمِ الْعَرَبَ جَهْلَهُ"⁴.

كما نجد ابن فارس (ت395هـ) يقول في هذا الصِّدْد: "وَيُسَمَّى الشَّيْءُ الْوَاحِدُ بِالْأَسْمَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ نَحْو: السَّيْفِ، الْمِهْنَدُ وَالْحُسَامُ"⁵ والذي نقوله في هذا أنَّ الاسم واحد وهو السَّيْف، وما بعده من الألقاب صِفَاتٌ، ومذهبنا أنَّ كلَّ صفة منها فمعناها غيرُ معنى الأُخرى، وقد خَالَفَ في ذلك قوم فَزَعَمُوا أَنَّهَا وَإِنْ اختلفت ألفاظُها فَإِنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى معنى واحدٍ.

¹ - السيوطي، المزهري، ج1، ص: 320.

² - أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، الأمالي، عني بوضعها وترتيبها محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط3، 1344هـ-1926م، ج1، ص: 210. / السيوطي، المزهري، ج1، ص: 321.

³ - عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النها وندي الزجاجي أبو القاسم، الأمالي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م، ج1، ص: 19.

⁴ - ابن الأنباري، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960م، ص: 7. / السيوطي، المزهري، ج1، ص: 314.

⁵ - المِهْنَد: السَّيْف الهندي. وَالْحُسَامُ: السَّيْف القاطع أو طرفه الذي يضرب به.

وذلك قولنا: "سَيْفٌ، عَضْبٌ"¹ وحُسامٌ، وقال آخرون: ليس منها اسمٌ ولا صِفةٌ إلا ومعناها غيرُ معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال؛ نحو: مَضَى وَذَهَبَ وَانْطَلَقَ، وَقَعَدَ وَجَلَسَ، وَرَقَدَ، وَنَامَ وَهَجَعَ... وهو مَذْهَبُ شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب².

ثُمَّ يُوضَّحُ رَأْيُهُ فِي قَضِيَةِ التَّرَادُفِ فيقول: "ونحن نقول إنّ في "قَعَدَ" معنى ليس في "جَلَسَ"، ألا ترى أنّا نقول: "

قَامَ ثُمَّ قَعَدَ"، و"أَخَذَهُ المَقِيمُ والمُقْعِدُ....، ثُمَّ نقول: "كان مُضْطَجِعًا فَجَلَسَ". فيكون القُعُودُ عن قِيَامِ والجُلُوسُ عن حالة هي دون الجُلُوسِ، لأنّ "الجلَسَ: المرتفع"، فالجلُوس ارتفاعٌ عمّا دونه وعلى هذا يجري الباب كُلُّهُ"³.

أمّا ابن درستويه (ت347هـ) فَيُبَيِّنُ أسبابَ نشأة التَّرَادُفِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَيُرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى: اختلاف اللهجات أوالمجاز

أو عدم إدراك الفُروْقِ الدَّلَالِيَّةِ بين الكلمات أو اختلاف الصَّيغ.

فيقول: "لا يكون فَعَلَ و أَفْعَلَ بمعنى واحدٍ كما لم يكنوا على بناءٍ واحدٍ، إلا أن يجيئ ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة، فَمُحَالٌ أن يختلف اللَّفْظَانِ والمعنى واحد..."⁴.
كما بَحْدُهُ يَنْفِي تَعاقُبَ حُرُوفِ الجَرِّ بقوله: "في جواز تَعاقُبِهَا إِبْطَالُ حَقِيقَةِ اللُّغَةِ، وإِفسَادُ الحِكْمَةِ فيها، والقول بخلاف ما يُوجِبُهُ العَقْلُ والقياس"⁵.

وإلى مثل هذا ذهب أبو هلال العسكري (ت395هـ)، غير أنّه لم يَكْتَفِ بالبحثِ النَّظَرِيِّ في ظاهرة التَّرَادُفِ وإنما أَلَفَ كِتَابًا أسماه "الفُروْقُ فِي اللُّغَةِ" أو "الفُروْقُ اللُّغَوِيَّةُ"، يَشْرَحُ فِيهِ نظريته في الفروقات الدَّلَالِيَّةِ، حيث يَرى أَنَّ التَّرَادُفَ غَيْرُ وَاقِعٍ لِوُجُودِ فروق دَلَالِيَّةِ بين الكلمات، بمعنى آخر: أنّه يَرى أَنَّ التَّطَابُقَ الدَّلَالِيَّ التَّامَ بين الكلمات التي يُظَنُّ أَنَّهَا من المُتَرَادِفِ غير موجود: يقول في هذا الشَّانِ: "الفرق بين العِلْمِ والمَعْرِفَةِ، أَنَّ العِلْمَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ والمَعْرِفَةُ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ واحدٍ، فَتُصَرِّفُهُمَا عَلَى الوَجْهِ ، واستعمال أهل اللُّغَةِ إِيَّاهُما عليه على الفرق بينهما"⁶.

¹ - العَضْبُ: السيف القاطع.

² - أبو الحُسَيْن أحمد بن فارس بن زكريّا ، الصَّاحِبِيُّ فِي فَهْمِ اللُّغَةِ وَمَسَائِلِهَا وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا، ص: 59.

³ - أحمد بن فارس، الصَّاحِبِيُّ فِي فَهْمِ اللُّغَةِ وَمَسَائِلِهَا وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا، ص: 60.

⁴ - السَّيُوطِي، المِزْهَر، ج1، ص: 384-385 (بتصرف).

⁵ - أبو هلال العسكري، الفُروْقُ اللُّغَوِيَّةُ، تح: محمد إبراهيم سَلِيم، دار العلم والثقافة، ص: 24.

⁶ - أبو هلال العسكري، الفُروْقُ اللُّغَوِيَّةُ، ص: 26.

ومثل ذلك في الفروق: "الفرق من جهة الحروف التي تتعدى بها الأفعال، كالفرق بين العفو والغفران تقول: "عفوتُ عنه فيقضي ذلك محو الذنب والعقاب"، وتقول: "غفرتُ له فيقضي ذلك ستر الذنب وعدم فضحه"¹.

على هذا النهج أخذ أبو هلال العسكري يتتعب، الفرق الدلالية بين: "المدح، الثناء والإطراء، والمجوح، الذم، السب والشتم: والعتاب، اللوم، الهمز واللمز..."

ومن أمثلة ذلك "الفرق بين المدح والثناء والإطراء: أن المدح يكون للحَيِّ والميت، وأن الثناء مدح مُكرَّر من قولك: ثنيتُ الخيط؛ إذا جعلته طاقين، وثنيته بالتشديد إذا أضفت إليه خيطاً آخر، ومنه قوله تعالى: "سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي"²، يعني "سورة الحمد" لأنها تُكرَّر في كُلِّ رَكْعَةٍ، أمَّا الإطراء فهو المدح في الوجه، ومنه قولهم: الإطراء يُورث الغفلة، يُريدون المدح في الوجه، والمدح يكون مُواجهَةً وغير مُواجهَةٍ"³.

كما أنكر أبو هلال العسكري تعاقب حروف الجر على مذهب ابن درستويه إذ قال: "وذلك أنَّها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووقع كل واحدٍ منهما بمعنى الآخر، فأوجب ذلك أن يكون لفظان ووقع لهما معنى واحد فأبى المحققون أن يقولوا بذلك، وقال به من لا يتحقق المعاني"⁴.

ومن القائلين بالتراذف، نجد أبو علي الفارسي (ت377هـ) فقد كان يستحسن التراذف ويُعجب به، وقد نصَّ على ذلك تلميذه ابن جني في حديثه عن تلاقي المعاني واختلاف الأصول والمباني إذ يقول: "وكان أبو علي رحمه الله يستحسن هذا الموضع جداً، ويُنبه عليه ويُسرُّ بما يحضره خاطره منه"⁵، وقد استشهد ابن جني على التراذف بأمثلة استقاها من شيخه أبي علي، فمثلاً يقول: "وقال أبو علي رحمه الله: قيل له حيي كما قيل له سحاب، تفسيره أن حياً (فعل) من حبا يحبو. وكأنَّ السحاب لثقله يحبو حبوا؛ كما قيل له سحاب وهو (فعل) من سحب؛ لأنه يسحب أهدابه. وقد جاء بكليهما شعر العرب"⁶.

¹ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 26.

² - سورة الحجر، الآية: 87.

³ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 51.

⁴ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 24-25.

⁵ - محمد نور الدين المنجد، التراذف في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان، دار الفكر دمشق-

سورية، ط1، 1417هـ-1997م، ص: 55.

⁶ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2، ص: 126.

أما ابن جني (ت392هـ): " فقد كان على رأس القائلين بالتّرادف، المدّافعين ؛ إذ جعله ميزةً للعربية تشرف بها، وذلك من خلال نظريته الخاصة للتّرادف التي شرحها في بابٍ أفردّه لهذا الغرض من كتابه "الخصائص"، وضرب عليها كثيراً من الأمثلة الموضّحة كما ناقش ابن جني معظم آراء منكري التّرادف ثمّ ردّها بالتّصريح مرّة، وبالتّلميح أخرى¹.

فهو يرى-ابن جني- أنّ التّرادف من خصائص العربية التي تستحقّ النّظر والتأمّل، فجعل له باباً في كتابه سمّاه " باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"²، ويُعطي من شأن التّرادف، ويجعله دليلاً على شرف العربية بين اللّغات، فيقول: " هذا فصلٌ من العربية حسنٌ، كثيرُ المنفعة، قويُّ الدّلالة على شرف هذه اللّغة، وذلك أنّ تجدَ للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مُفصّلي المعنى إلى صاحبه"³.

وهكذا نجد أنّ علماء العربية القدماء درسوا ظاهرة "التّرادف" على نحوٍ دقيق على الرّغم من اختلافهم- اختلاف نظرة كم منهم إلى الظّاهرة- فالذين قالوا بوقوع التّرادف كانوا ينظرون إلى الثّروة اللّفظية في اللّغة العربية نظرةً وصفيةً آنية (ينظرون إلى اللّغة كما هي في فترة زمنية محدّدة أو كما وصلت إليهم في عصرهم).

أما الذين كانوا يقولون بعدم وقوعه، فقد كانوا ينظرون إلى اللّغة نظرةً تاريخيةً تطورية (أي كانوا ينظرون إلى اللّغة عبر فترات زمنية مختلفة)⁴.

أمّا علماء اللّغة في العصر الحديث، فقد عرّفوا التّرادف كما عرّفه علماء العربية القدماء فقالوا: " إنّ التّرادف المطلق أو التّام يحدثُ عندما تحلّ كلمة محلّ أخرى في جميع السيّاقات المُختلفة، وهو أمرٌ نادرٌ الوقوع"⁵.

أسباب وقوع التّرادف:

لاشكّ أنّ اللّهجات العربيّة كانت سبباً مهماً لوقوع التّرادف في العربيّة مع أسباب أخرى، وقد حدّد اللّغويون أسباب التّرادف في العربيّة بما يأتي:

¹ - محمد نور الدّين المنجد، التّرادف في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، ص: 55.

² - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، ص: 113-133.

³ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، ص: 113.

⁴ - حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، دار المعرفة الجامعية، 1998م، ص: 171.

⁵ - حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، ص: 171-172.

1-تَعَدُّدُ أَسْمَاءِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ فِي اللَّهَجَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَالْبَطِيخُ مَثَلًا فِي مِصْرَ، هُوَ: "الرَّقِّي" فِي الْعِرَاقِ "الدَّلَّاح" وَفِي لُبْنَانَ "الْحَبَّاب" وَمَا ذَلِكَ¹.

2- أَنْ يَكُونَ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ اسْمٌ وَاحِدٌ ثُمَّ يُوصَفُ بِصِفَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بِاخْتِلَافِ خَصَائِصِ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

3- التَّطَوُّرُ اللَّغَوِيُّ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ، فَقَدْ تَتَطَوَّرُ بَعْضُ أَصْوَاتِ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ فَتَنْشَأُ صُورٌ أُخْرَى لِلْكَلِمَةِ، وَعِنْدَئِذٍ يَعُدُّهَا اللَّغَوِيُّونَ الْعَرَبُ مُتَرَادِفَاتٍ لِمُسَمًى وَاحِدٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ هَتَكَتِ السَّمَاءُ وَهَتَنْتِ².

4-الاستِعَارَةُ مِنَ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُجَاوَرُ الْعَرَبِيَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَصَدَرَ الْإِسْلَامِ.

وَبَيْنَ الْكَلِمَاتِ الْمُتَرَادِفَةِ الَّتِي رُوِيَتْ لَنَا، الْكَثِيرُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَعَارَةِ مِنَ الْفَارْسِيَّةِ وَغَيْرِهَا كَالدَّمَقْسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ لِلْحَرِيرِ، وَالزَّرْجُونِ وَالْإِسْفَنْطِ وَالْبَازِقِ، وَالذَّرِيَاقَةَ لِلْخَمْرِ، وَالْبَهْرَجَ لِلْبَاطِلِ، وَالْبَخْتَ لِلْحَظِّ، وَالْجُلُّ لِلْوَرْدِ وَالْدَسْتُ لِلصَّحْرَاءِ، وَالْيَمُّ لِلْبَحْرِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ³.

أَمَّا عُلَمَاءُ الْأَصُولِ فَيُوجِعُونَ أَسْبَابَ التَّرَادُفِ إِلَى سَبْعِينَ هُمَا:

الْأَوَّلُ: التَّسْهِيلُ وَالْإِقْدَارُ عَلَى الْفَصَاحَةِ، لِأَنَّهُ قَدْ يَمْتَنِعُ وَزْنُ الْبَيْتِ وَقَافِيَّتُهُ مَعَ بَعْضِ أَسْمَاءِ الشَّيْءِ دُونَ الْبَعْضِ.

الثَّانِي: التَّمَكُّينُ مِنْ تَأْدِيَةِ الْمُقْصُودِ بِإِحْدَى الْعِبَارَتَيْنِ عِنْدَ نِسْيَانِ الْأُخْرَى، وَأَمَّا الثَّانِي: فَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ السَّبَبُ الْأَكْثَرُ، وَهُوَ اصْطِلَاحُ إِحْدَى الْقَبِيلَتَيْنِ عَلَى اسْمٍ لَشَيْءٍ غَيْرِ الَّذِي اصْطَلَحَتْ الْقَبِيلَةُ الْأُخْرَى عَلَيْهِ، ثُمَّ اشْتَهَارَ الْوَضْعَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ⁴.

أنواع التَّرَادُفِ: قَسَمَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ وَعُلَمَاءُ الْمَعَاجِمِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ التَّرَادُفَ إِلَى دَرَجَتَيْنِ هُمَا:

1- التَّرَادُفُ التَّامُّ: وَذَلِكَ فِي حَالَةِ التَّطَابُقِ التَّامِّ أَوْ الْمُطْلَقِ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرٍ وَيَعْنِي هَذَا التَّطَابُقُ فِيمَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْكَلِمَةُ سَوَاءً مِنْ حَيْثُ مَعْنَاهَا الْأَصْلِي أَوْ الْمَعْنَى الَّتِي تَرْتَبِطُ وَتُوجِي بِهَا وَهَذَا الشَّرْطُ يَجْعَلُ مِنَ التَّرَادُفِ أَمْرًا نَادِرًا الْوُقُوعُ فِي أَيِّ لُغَةٍ⁵.

2- شَبْهُ التَّرَادُفِ: وَذَلِكَ فِي التَّشَابُهِ الدَّلَالِيِّ الْوَاضِحِ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرٍ سَوَاءً فِي الْمَعْنَى الْأَصْلِي أَوْ فِي الدَّلَالَةِ الْمُتَرَبِّطَةِ أَوْ الْمُتَضَمِّنَةِ فِي الْكَلِمَةِ لَكِنْ هُنَاكَ خِلَافٌ فِي الدَّلَالَةِ فِيمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ

¹ - رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1420هـ-1999م، ص: 316.

² - رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص: 319.

³ - رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص: 321.

⁴ - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، ص: 255-256.

⁵ - حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، ص: 172.

المعاجم "دَرَجَةُ التَّطَابُقِ" وذلك حينما تستعمل الكلمة في سياق معيّن ولا تصلح الأخرى في السياق نفسه وكلاهما بمعنًى واحد، فأيّ اختلاف يؤدي إلى شبه التّرادف. أمّا التّطابق التّام بينهما فهو التّرادف التّام أو المطلق هو أمر نادر الوقوع، فقد تتفق كلمتان في الدّلالة الأصليّة ولكن الدّلالات الهامشيّة أو المتضمنة قد تختلف ممّا يؤدي إلى وقوع نوع من التّرادف، ومعنى هذا أنّ التّرادف يحدّث من اختلافِ مُستويّاتِ الاستعمالِ أو الأشخاصِ، أيّ بعبارةٍ أُخرى أنّ الكَلِمَتَيْنِ قد تَتَّفَقَانِ في المَعْنَى الأصليّ وَلَكِنَّهُمَا تَخْتَلِفَانِ في دَرَجَةِ التَّطَابُقِ إِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَى الدَّلَالَاتِ الهَامِشِيَّةِ أو بالنّسبة لِسَيَاقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ أو أَشْخَاصٍ بَعِيْنِهِمْ¹.

¹ - حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، ص: 172-173.

المحاضرة السادسة: المشترك اللفظي:

تشغل الألفاظ العربية المشتركة المعاني، مع ما صدر لها من شروح ودار حولها من مناقشات، جزءاً مهماً من تراثنا اللغوي والأدبي، غير أنّ موقف الباحثين واللغويين العرب حيال هذه الألفاظ وحديثهم عن طبيعتها وعن أهميتها ودورها في مجال التعبير كان - وما يزال - خلافياً غير مستقر.

المشترك لغة:

الشركة والشركة سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا؛ بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان، وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر... وشاركت فلانا: صرت شريكه، واشتركنا في كذا، وشركته في البيع والميراث... قال: ورأيت فلانا مُشترَكاً، إذا كان يحدث نفسه أنّ رأيه مشترك ليس بواحد.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "وطريقُ مشترك: يستوي فيه الناس. واسم مشترك: تشترك فيه معانٍ كثيرة، كالعين ونحوها، فإنه يجمع معاني كثيرة، وقوله أنشد ابن الأعرابي:

وَلَا يَسْتَوِي الْمَرْءَانِ هَذَا ابْنُ حُرَّةٍ وَهَذَا ابْنُ أُخْرَى ظَهَرَهَا مُتَشَرِّكٌ.

متشرك؛ بمعنى: مُشْتَرِكٌ¹، وقد اشتركا وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر بمعنى التشارك.

قال النابغة الجعدي:

وَشَارَكْنَا قُرَيْشًا فِي تَقَاهَا وَفِي أَنْسَابِهَا شِرْكَ الْعِنَانِ.

وشركه في الأمر يشركه: دخل معه وأشركه فيه، وأشرك فلانا في البيع؛ إذا أدخله مع نفسه فيه، وقوله تعالى: "وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي"²؛ أي: إجمعه شريكاً لي³.

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: الشين والراء والكاف أصلان. أحدهما يدلّ على مقارنة وخلاف انفرداه، والآخر يدلّ على امتداد واستقامة. فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما. ويقال شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه. وأشركت فلانا، إذا جعلته شريكاً لك. أمّا الأصل الآخر، فالشرك: لقم الطريق، وهو إشراكه أيضاً. وشراك النحل مشبه بهذا. ومنه شراك الصائد، سمي بذلك لامتداده⁴.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مج4، ص، 2249. مادة (ش ر ك).

² - سورة طه، الآية: 32.

³ - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1385هـ - 1965م، ص: 223، 224، 225، 226. مادة (ش ر ك).

⁴ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج3، ص: 265. مادة (شرك).

المشترك اصطلاحاً:

عرّفه الأصوليون بأنّه: " اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"¹؛ بمعنى: أنّ اللفظ الواحد يعطينا دلالات لمعان مختلفة تكونة معروفة لدى بيئة معيّنة.

قال السرخسي: " وأما المشترك، فكلّ لفظ يشترك فيه معان، أو أسام، لا على سبيل الانتظام، بل على احتمال أن يكون كلّ واحد هو المراد به على الانفراد، وإذا تعيّن الواحد مُراداً به، انتفى الآخر، نحو اسم العين، فإنّه للنّاظر ولعين الماء، وللشّمس وللميزان، وللنّقد من المال، لا على أنّ جميع ذلك مراد بمطلق اللفظ، ولكن على احتمال كون كلّ واحد مراداً به بانفراده عند الإطلاق، وهذا لأنّ الاسم يتناول كلّ واحد من هذه الأشياء، باعتبار معنى، غير المعنى، وقد بيّنا أنّ اللفظ الواحد لا ينتظم المعاني المختلفة"².

ومن العلماء من أنكر وجود المشترك اللفظي "ابن درستويه" ونلمس ذلك في قوله: " فإذا اتّفق البناءان في الكلمة والحروف، ثمّ جاءا لمعنيين مختلفين، لم يكن بدّ من رجوعهما إلى معنى واحد، يشتركان فيه، فيصيران متّفقى اللفظ والمعنى"³. بينما ذهب الكثير من العلماء إلى ورود المشترك وعلى رأسهم الأصمعي والخليل.

آراء القدماء والمُحدّثين في المُشترك اللفظي:

المشترك اللفظي عند القدماء:

لقد كتب القدماءُ كُتُباً كثيرةً في اللُّغة العربيّة عن هذه الظّاهرة منذ وقت مبكّر، فمنهم من:

- اتّجه إلى دراسته في القرآن الكريم.

- اتّجه إلى دراسته في الحديث النبوي الشريف.

- اتّجه إلى دراسته في اللُّغة العربيّة.

أسباب وقوع المشترك اللفظي:

يُرجع القدماء المشترك إلى أسباب كثيرة منها:

¹ - جلال الدّين السيوطي، المزهري في علوم اللّغة، ج 01، ص: 369.

¹ - أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي: أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفعاني، دار المعرفة، بيروت، ج 01، ص: 126.

³ - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 325.

1- الأسباب الدّاخلية: وهي تنقسم إلى تغيير في التّطق عن طريق القلب المكاني والإبدال، وتغيير في المعنى، فهو نوعان: مقصود وتلقائي.

2- الأسباب الخارجيّة: وهي باختلاف البيئة.

يُرجع اللّغويون ذلك إلى أسباب جغرافية وتاريخية.

السّبب الخارجي: يتحقّق حينما تستعمل الكلمة بمعنيين في بيئتين مختلفتين.

كما يرجع اللّغويون وقوع المشترك إلى أسباب جغرافية وتاريخية، نلخصها فيما يأتي:

أولاً: الأسباب الجغرافية؛ يذكر أبو علي الفارسي أنّ تداخل اللّغات " يقصد اللهجات العربية" سبب من أسباب وقوع الاشتراك في العربية، وينفي أن يقع في لهجة واحدة. فقد روى لنا الأصمعي، أنّ عامة العرب، كانت تطلق: " السّليط" على الزّيت. أمّا أهل اليمن، فكانوا يطلقونه على دهن السّمسم فقط. وهذا من تخصيص العام في دلالة اللفظ، وهذا طريق من طرق تطوّر الدّلالة، في اللّغات المختلفة"¹.

ثانياً: الأسباب التّاريخية:

- التطوّر اللّغوي:

لعلّ أشهر من علّل ظاهرة الاشتراك على أساس تطور صوتي هو اللّغوي "إبراهيم أنيس"، فقد حاول أن يفسّر كلمات مثل "السّغب"، في دلالتها على (الوسخ والدّرن)، وكذلك (القحط والجوع) بالقول: إنّها "تطوّرت في لهجة من اللهجات، ولظرف من الظروف الخاصّة، حتى أصبحت (التّغب) من المشترك اللفظي"، مستأنسا في ذلك بما تفعله بعض القبائل اليمنية حين تقلب السين تاءً، كما في قولهم: "النّات" من "النّاس"، ثمّ " جاء جامعو المعاجم ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة (التّغب)، وعَدّوها من المشترك اللفظي"².

"فقد تكون هناك كلمتان مختلفتان في الأصل، ثمّ حدث تطوّر في بعض أصوات إحداها، فاتّفقت مع الأخرى في أصواتها. وبذلك أصبحت لفظة واحدة تشترك في معنيين أو أكثر؛ ومثال ذلك ما ورد في المعاجم من قولها: " الفروة: جلدة الرّأس والغنى". وأصل الكلمة بالمعنى الثّاني، هو: " الثّروة"، أبدلت الثّاء فاءً، على طريقة العربية في مثل: حدث وجدف وحثالة وحقالة"³.

¹ - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 330.

² - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص: 157.

³ - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 332. (بتصرّف).

وكذلك ما روي من "دعم الشيء" بمعنى قواه ودعمه، وبمعنى دفعه وطعنه ورماه، وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو "دحم" بالحاء، وقد تطوّرت هذه الحاء وظهرت بسبب مجاورتها للدال المجهورة، فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو العين فصارت "دعم"، ومن ثمّ التبست لذلك بكلمة "دعم" بمعنى قواه فنشأ الاشتراك اللفظي نتيجة لذلك¹.

الاستعمال المجازي: يذكر بعض اللّغويين منهم أبو علي الفارسي: "أنّ المجاز أحد أسباب وقوع المشترك اللفظي، وهذا رأي غير مقبول، إذا سلّمنا بالتفريق بين المشترك اللفظي والمنقول، لأنّ المعاني المجازية التي يرتبط بها اللفظ إنّما نشأ عن تطوره والتوسع فيها، فنقل اللفظ إليها، وليست بأي حال ممّا تساوت فيه المعاني في استحقاق اللفظ".

كما يلجأ أكثر المتكلّمين أثناء مخاطبتهم إلى مجازات من أجل توضيح المعنى وإبرازه في صورة جلية، دون تعمّد؛ كقولك: "رأس الإنسان"، نقول رأس الجبل، ورأس النخلة، ورأس الحكمة، وهم لا يعنون دائماً بكلمة "رأس" الجزء الأعلى البارز من كلّ شيء، وإن اختلفت هذه الأجزاء في تفاصيلها².
فمثلاً كلمة "العين"، تدلّ في الأصل على عضو الإبصار، بدليل مقارنة اللّغات السّامية المختلفة، أمّا العربية ففيها زيادة على هذا المعنى: "الإصابة بالعين"، و"ضرب الرجل في عينه"، و"المعاينة"، وهذه كلّها اشتقاقات فعلية من لفظ "العين" بمعناها القديم. ومن معانيها كذلك "المال الحاضر"، و"الجالوس"، و"ريئة الجيش"، وهو الذي ينظر لهم، فكأنّ الجالوس والريئة، قد تحوّلوا إلى عين كبيرة؛ لأنّ العين أهمّ أعضائهما في عملهما. و"خيار الشيء"، و"السّيد"، و"سنام الإبل"، وهذه الثلاثة يجمعها بالعين قيمتها بالنسبة إلى سائر الجسد، على التّشبيه بها في المكانة والمنزلة.
ومن المعاني أيضاً، "عين الشّمس"، و"عين الماء"؛ وهذه كلّها على التّشبيه بالعين في الاستدارة، أو سيلان الدّمع منها³.

يمكننا القول، إنّ استعمال المجاز يوضّح المعنى ويبرزه في صورة جلية.

يلاحظ علماء اللّغة المحدثين، أنّ المعاني الحسيّة أسبق في الوجود من المعنويات، وأنّ المعنويات فرع عن الحسيّات بطريق المجاز غير أنّ أصحاب المعاجم العربية لم يُفرّقوا بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية سوى الزّمخشري في معجمه "أساس البلاغة"، ولكنّه "لم يوفق في كلّ حالة؛ فقد ضلّ الطّريق، حين حاول

¹ - حلمي خليل، مقدّمة لدراسة فقه اللّغة، ص: 160. رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 132، 133. (بتصرّف).

² - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، ص: 193. (بتصرّف).

³ - جلال الدّين السيوطي، المزهري في علوم اللّغة، ج 01، ص: 372. (بتصرّف).

اشتقاق معنى حسي من آخر معنوي، مع أنّ الذي أجمع عليه المحدثون من علماء اللّغات، هو أنّ المعاني الحسيّة أسبق في الوجود، وأجدر بأن تعدّ المعاني الحقيقية، وغيرها فروع لها عن طريق المجاز¹. ولعلّ سبب غموض العلاقة بين معاني المشترك اللفظي، ارتباطها بأشياء تاريخية أدّت إلى نشوء معاني بعيدة.

أسباب وقوع المشترك عند المحدثين:

لا تختلف أسباب المشترك اللفظي كثيرا عند المحدثين كما سبق ذكره عند القدماء، ولكن يضاف أن من أسباب حدوثه ما يلي:

- تطور صوتي يؤدّي إلى تطابق لفظين.
 - سوء فهم المعنى، وبخاصة عند الأطفال.
 - الاقتراض من اللّغات المختلفة.
 - حدوث تطور في معاني الكلمات على مستوى اللّهجات.
- الفرق بين المشترك اللفظي الهومونيمي (Homonymy)، وبين تعدّد المعنى البوليزيمي (Polysemy): كلاهما يقوم على مبدأ الاشتراك، غير أنّ تعدّد المعنى يشير إلى كلمة واحدة لها أكثر من مدلول؛ في حين أنّ المشترك اللفظي يدلّ على اتفاق في اللفظ مشافهة أو خطأ أو كليهما معا.
- إذا كانت كلمات المشترك اللفظي تمتلك النطق نفسه ولكن بهجاء مختلف، نحو: "Hir و Hier"، "Reed و Read"، فإنّ اختلاف الهجاء كاف بجعل الكلمات من المشترك اللفظي، "مع أنّ بعض اللّغويين اعترض على ذلك بالمثل التالي: Flower و Flour"²، وهما يختلفان معنّى وهجاءً وأصلها واحد.
- أمّا إذا كانت الكلمة تملك نفس النطق والهجاء وتتعدّد معانيها فينبغي اللّجوء إلى المعيار الدلالي، فإذا وجدت علاقة متشابهة بين المعنيين فهما لكلمة واحدة تطوّرت على سبيل المجاز، مثل: "البشرة" وهكذا يتضح أنّ الفرق بينهما هو بين وجود كلمَةٍ واحدة تَطَوَّرَت على سبيل المجاز، تطوّر معناها عن طريق الاستعمال أو المجاز حتى صار لها معنيان أو أكثر من جهة، ووجود كلمتين أو أكثر من أصول مختلفة تلاقت في النطق أو الكتابة أو في كليهما معا. فظهر من ذلك اتفاق ظاهر في الصّيغة من جهة أخرى³.

¹ - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، ص: 119.

² - حلمي خليل، مقدّمة لدراسة فقه اللّغة، ص: 162.

³ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة.

ويُتّضح هذا الفرق لدى علماء المعاجم، حيث يفصلون بينهما بوضوح متعدّد المعنى في مدخل معجمي واحد لأنّه مادة واحدة أصلاً، ووضع المشترك اللفظي في مداخل متعدّدة لأنّ مواده متعدّدة. هذا ما ذهب إليه الدكتور صبحي الصّالح من خلال قوله إنّ: "السياق هو الذي يعيّن أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الدّهن، وإنّما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة، فيخلع، للفظ المعنى المناسب. وعلى هذا لا يجد الباحث كبير عناء في فهم لفظ (الغروب)، يتردّد ثلاث مرات في ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا وَيَحْ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى إِذ رَحَلَ الْجِيرَانُ عِنْدَ الْغُرُوبِ.
أَتَبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَمَعُنُوا وَدَمَعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الْغُرُوبِ.
بَانُوا وَفِيهِمْ طِفْلةٌ حُرّةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الْغُرُوبِ.

ويفهم من سياق الكلام أنّ "الغروب" الأولى: غروب الشّمس، ومن الثّانية: جمع غرب، وهو الدّلو العظيمة المملوءة. أمّا الثّالثة؛ فتعني: الوهاد المنخفضة.

المحاضرة السابعة: التّضاد.

لا يمكننا الحديث عن المشترك اللفظي إلاّ إذا تعرضنا إلى المعاني المتضادة، والتي يطلق عليها اسم الأضداد، فمن الطّبيعي أنّ لكلّ كلمة من الكلمات أضداد توضع لأحدهما ثمّ جاءت عوامل مختلفة أدّت إلى نشأة المعنى الثّاني الذي هو ضدّ المعنى الأوّل، ويفهم كلّ معنى من سياق الجملة.

المفهوم اللّغوي للتّضاد:

جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت517هـ): الضّدّ كل شيء ضادّ شيئاً ليغلبه والسّوداد ضدّ البياض والموت ضدّ الحياة، تقول: هذا ضدّه وضدّيدّه، واللّيل ضدّ النّهار، إذا جاء هذا ذهب ذاك، ويجمع على الأضداد¹، قال الله عزّ وجلّ: "وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا"².

ويقول أبو الطّيب اللّغوي (ت351هـ): الأضداد جمع ضدّ، وضدّ كلّ شيء ما نفاه؛ نحو البياض والسّوداد، والسّخاء والبخل، والشّجاعة والجبن. وليس كلّ ما خالف الشّيء ضداً له³.

ونجد في مقاييس اللّغة لابن فارس (ت395هـ) كلمة "ضدّ": "الضّاد والذّال كلمتان متباينتان في القياس.

فالأولى: الضدّ ضدّ الشّيء. والمتضادان: الشّئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنّهار.

والكلمة الأخرى الضدّ، وهو الملاء، بفتح الضّاد، يقال ضدّ القرية: ملاءها، ضدّا⁴.

وورد في الصّحاح للجوهري (ت400هـ): "الضدّ: واحد الأضداد، والضدّيد مثله.

وقد ضّاده، وهما متضادّان. ويقال: لا ضدّ له ولا ضدّيد له؛ أي: لا ضدّيد له ولا كفاء له⁵.

فالمقصود من هذه المفاهيم اللّغوية، أنّ الاختلاف والضدّ ليسا نفس الشّيء، وإنّما الاختلاف أعمّ منه لأنّ الضدّ هو ما نفى الشّيء.

أمّا الحدّ الاصطلاحي للتّضاد: فهو دلالة اللفظ على المعنى وضدّه حيث إنّ اللفظة الواحدة تصلح

لمعنيين؛ مثل كلمة (الصّارم) التي تطلق على اللّيل والنّهار، لأنّ كل واحد منهما ينصرم من صاحبه⁶، ومن

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، ج7، ص: 6.

² - سورة مريم، الآية: 32.

³ - أبو الطّيب اللّغوي، كتاب الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، 1995م، ص: 33.

⁴ - ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ج 03، 1979م، ص: 360.

⁵ - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط04،

1990م، ج02، ص: 500، 501.

⁶ - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الأزارطة، الإسكندرية، د ط، ص: 247.

أمثلة: الجون للأبيض والأسود،¹ بمعنى أنّ الكلمة الواحدة بمعنيين وقد ألّف في الأضداد جماعة من الأئمة وأشهرهم "ابن الأنباري"، وقد تمثّل منهجه في (ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً على معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزّيف والازدراء بالعرب أنّ ذلك منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاورتهم) وقد اختار "ابن الأنباري" في كتابه (الأضداد) ما يزيد عن أربع مائة من الكلمات المتضادة.²

وقد حاول "بن الأنباري" أن يفسّر "أنداد" في القرآن على معنيين، من خلال قوله تعالى: "فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"³ وقوله أيضاً: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ"⁴. و"الند"؛ معناه: المثل ...

ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا"⁵. وقد فسرت ما فوقها بما دونها.

يقول أبو الطيّب اللّغوي: "الأضداد هي الألفاظ التي تقع على الشّيء وضده في المعنى، وقد استعمل العرب هذه الألفاظ في لغتهم، وأطلقوا على الشّيئين المتضادّين اسماً واحداً ليتسّعوا في كلامهم ويتصرّفوا فيه"⁶.

وجاء في قول ابن فارس (ت395 هـ): "من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادّين باسم واحد؛ نحو الجون للأسود والجون للأبيض ..."⁷.

كما جاء في قول السيوطي (ت911 هـ): "هو نوع من المشترك. قال أهل الأصول، مفهوم اللفظ المشترك إمّا أن يتبايناً، بأن لا يمكن اجتماعهما في الصّدق على شيء واحد كالحيض والطهر، فإنّهما مدلولوا القرء ... أو يتوَصَّلا"⁸.

¹ - صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة، ص: 247.

² - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص: 247.

³ - سورة البقرة، الآية: 22.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 165.

¹ - سورة البقرة، الآية: 26.

⁶ - أبو الطيّب اللّغوي، كتاب الأضداد في كلام العرب، ص: 18.

⁷ - ابن فارس، الصّاحي في فقه اللّغة العربية وسنن العرب في كلامها، ص: 60.

⁸ - السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ص: 304، 305.

هناك من الأضداد ألفاظ يتبين أنّ أحد معنييها حقيقي والآخر مجازي، لأنّ الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي له دوافع تكمن في نفس المتكلم تمنعه من ذكر المعنى الحقيقي فيلجأ إلى المجاز. فالتضاد كما جاء في قول الدكتور صالح بلعيد: "هو إطلاق اللفظ على المعنى وضده، ويحصل إمّا بسبب التعبير بالضدّ عمداً أو الخلط بين معنى لفظ، ومعنى لفظ آخر قريب منه"¹.

وقد عرّفه أبو الطيّب اللّغوي قائلاً: "الأضداد جمع ضدّ، وضدّ كلّ شيء ما نفاه؛ نحو: البياض والسّوداد، والسّخاء والبخل، والشّجاعة والجبن؛ وليس كلّ ما خالف الشّيء ضدّاً له، ألا ترى أنّ القوّة والجهل مختلفان، وليس ضدّين، وإنّما ضدّ القوّة الضّعف، وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التّضاد. إذا كان كلّ متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدّين"².

فالتضاد ظاهرة من ظواهر اتّساع اللّغة العربية. يقول الدكتور "صبحي الصّالح" في هذا الشّأن: "أمّا اتساع التّعبير في العربية عن طريق التّضاد فليس في وسعنا أن نبالغ فيه ونكسر من أمره، لأنّنا بعد مراجعة رصيدنا اللّغوي من الأضداد سنجد أنفسنا وجها لوجه لمقدار ضئيل من الكلمات وسرعان ما نلاحظ أنّ هذا المقدار الضّئيل نفسه يأخذ في التّضائل شيئاً فشيئاً حتّى ليكاد ينعدم"³. يمكننا القول، إنّ التّضاد قد أعطى للغة العربية اتّساعاً في التّعبير والمبالغة.

وذهب فريق إلى كثرة ورود التّضاد، وضرب له عدداً كبيراً من الأمثلة؛ منهم الخليل وسيبويه وأبو عبيدة و ابن فارس والمبرّد والسيوطي، فقد أحصى كلّ من السيوطي و ابن سيّدة من الأضداد ما يزيد على المائة، بل إنّ بعضهم ألّف مؤلّفات لسرد أمثلة التّضاد ومنهم قطرب والأصمعي⁴. من خلال ذلك يتبيّن لنا أنّ للتّضاد أهمية بالغة لدى علماء اللّغة وعند كبار الأئمة لما حاز عليه من مؤلّفات.

ويذهب أنصار هذا الرّأي إلى التّضاد في المعاني، ينشأ أولاً في لهجات مختلفة، ثمّ تستعير كلّ لهجة المعنى المستعمل عند الأخرى، وبذلك يجتمع المتضادان في هذه اللّهجة عن طريق تلك الاستعارة⁵. يرى أصحاب هذا الرّأي أنّ اللّهجات تتأثّر ببعضها البعض فتأخذ كلّ واحدة من الأخرى من خلال الاستعارة.

¹ -صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص: 116.

² -أبو الطيّب اللّغوي، الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسين، دار التّعلم، دمشق، دط، 1963م، ص: 74.

³ -صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص: 309.

³ -علي عبد الواحد وافي، فقه العربية، ص: 193.

⁴ _ رمضان عبد التّواب، فقه العربية، ص: 336.

ومن العوامل التي أدت إلى التّضاد، والتي طبّقت على بعض الكلمات الأضداد، مع ملاحظة التّطور في المعنى الأصلي للكلمة.

■ **عموم المعنى الأصلي**؛ قد يكون المعنى الأصلي للكلمة عاما، ثم يتخصّص هذا المعنى في لهجة من اللهجات، مثل كلمة (الفر) تذكرها كتب الأضداد، بمعنى الرّيح الطّيبة، والرّيح المتّنة، ويقول قطرب "الذّفر" المسك..... ويقال لنتن الإبط، ويبدو أنّ المعنى الأصلي للكلمة هو (الرّيح)¹.

■ **التّفاؤل**: فالتّفاؤل والتّشاؤم من غرائز الإنسان التي تسيطر على عاداته في التّعبير على حدّ كبير، فإذا أراد الإنسان التّعبير عن معنى سيّء تشاؤم في ذكر الكلمة الخاصّة به، وفرّ منها إلى غيرها، فجميع المفردات التي تعبّر عن الموت والأمراض والمصائب يفرّ منها الإنسان.

ومن أمثلتها (المفاضة) معناها في العربية، المنجاة والمهلكة، واشتقاق الكلمة من "الفوز" يؤكّد أصالة المعنى الأول، أمّا إطلاقها على المعنى الثّاني فهو على سبيل التّفاؤل².

■ **التّطور اللّغوي**: قد يحدث في بعض الأحيان أن توجد كلمتان مختلفتان ولهما معنيان متضادان. ومن أمثلة ذلك في العربية، (لمقت الكتاب)؛ أي: كتبه، وكذلك (لمقت الكتاب)؛ أي: محوته، وكذلك قولهم (تلحاح)؛ بمعنى: أقام وثبت، وكذلك بمعنى زال وذهب³.

وهكذا فنحن أمام كلمة واحدة تدلّ على معنيين متضادّين، غير أنّنا بالرجوع إلى التّطور الصّوتي وإبدال الأصوات بعضها من بعض، نجد أنّ هناك فعلا آخر بمعنى الكتابة هو "نمق" حيث أبدلت النّون لاما، وحرّفا اللّام والنّون من الأصوات المتوسطة في اللّغة العربية التي يحدث فيها الإبدال كثيرا.

وبذلك صار الفعل "نمق" "لمق" فتطابق مع نظيره "لمق" بمعنى "محّا". وبهذا تولّد التّضاد بين المعنيين. وقد روى عن أعرابي أنّه قال عن كتاب: لمقته ثمّ نمقته؛ أي: محوته بعد أن سطرته⁴.

■ **رجوع الكلمة إلى أصلين**: وذلك راجع إلى انشعاب الكلمة من أصلين فتكون في دلالتها على أحد الضّدين منحدرّة من أصل، وفي دلالتها على مقابلة منحدرّة من أصل آخر، وفي هذه الحالة نكون بصدد

⁵ - رمضان عبد التّواب، فقه العربية، ص: 344، 345.

¹ - رمضان عبد التّواب، فقه العربية، ص 346.

² - علي عبد الواحد وافي، فقه العربية، ص: 246.

- ينظر : رمضان عبد التّواب ، فصول في فقه العربية ، ص : 351-352. أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، كتاب

⁴ الأضداد ، ص: 49.

كلمتين لا واحدة؛ مثل "هجد" بمعنى "نام وسهر"، فمن المحتمل أن تكون في معنى التَّوَم منحدره من هذا إذا سكن، وفي معنى السَّهَر من جدّ إذا جهد، لما في السَّهَر من اجتهد في منع التَّوَم¹.

■ اختلاف الصَّيغ الصَّرْفِيَّة :

أدى وجود كثير من الصَّيغ الصَّرْفِيَّة في اللُّغة العربيَّة التي تستعمل للفاعل أو للمفعول إلى نشأة كثير من ألفاظ الأضداد ومن ذلك مثلاً استعمال صيغة "فعل" بمعنى "الفاعل" في لفظ "الدَّعور" بمعنى ذاعر ومدعور. يقال: فلان دعور؛ أي: ذاعر، ودعور: أي: مدعور². وكذلك "ركوب" للرجل الذي يركب، وركوب للطريق الذي يركب³.

وقد تستعمل صيغة "فاعل" لتدلّ على المفعول أيضاً وذلك نحو لفظ "عائذ" الذي يمكن إن يطلق على "رجل عائذ" بمعنى "فاعل" ويقال: ناقة عائذ؛ أي حديثه النتائج، وهي مفعولة لأنّ ولدها يعوذ بها⁴. كما قد تستعمل صيغة "فعل" بمعنى "فاعل"، وذلك نحو لفظ "الغريم" بمعنى: الدَّائن والمدَّين⁵. ومهما كان سبب التَّضاد والاشتراك واختلاف اللُّغويين بينهما، فإنّ ما ثبت من كلمات الأضداد أو المشترك ليست كثيرة، ويمكن تحديد معناها من خلال السِّياق والقرينة، ووجودها في المعاجم يحتاج إلى فهم النُّصوص القديمة، ومهمّة واضعي المعاجم أن يتحرَّروا استعمال الألفاظ في النُّصوص الصَّحيحة قبل الحكم بأنّها من الأضداد.

¹ - علي عبد الواحد وافي، فقه العربية، ص: 197.

² - أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السحبتاني، كتاب الأضداد، ص 51. ابن الأنباري، الأضداد، ص: 57. أضداد قطرب 83.

³ - ابن الأنباري، الأضداد، ص: 356. أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السحبتاني، كتاب الأضداد، ص: 51. أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت. كتاب الأضداد ص 143-144.

⁴ - أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السحبتاني، كتاب الأضداد، ص 51.

⁵ - أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت، كتاب الأضداد، ص: 89 وص 133. أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السحبتاني كتاب الأضداد ص 51.

المحاضرة الثامنة: الاشتقاق (مفهومه، وأنواعه، العام، الكبير، الأكبر، الكبار "النحت").

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "كلما اتسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورفى تفكيرها، وتهدّبت أنجاساتها النفسية، ونهضت لغتها، وسمت أساليبها، وتعدّد فيها فنون القول، ودقت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة وهلمّ جزاء، واللغة العربية أصدق شاهد على ما نقول. فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام، ومن النطاق العربي الضيق الذي امتازت به حضارتهم في عصر بني أمية، إلى الأفق العالمي الواسع، الذي تحوّلوا إليه في عصر بني العباس، كان لهذين الانتقالين أجل أثر في نهضة لغتهم ورفى أساليبهم، واتساعها لمختلف فنون الأدب، وشتى مسائل العلوم، وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يُهدّب لغتها، ويسمو بأساليبها، ويوسع نطاقها، ويُرّيل ما عسى أن يكون بها من خشونة، و يُكسبها مرونة في التعبير والدلالة..."¹.

إنّ اللغة كائن، ترقى برقي مجتمعا، وتحمّد بجموده، وبحكم وظيفتها في المجتمع، فهي تسمح بالتعبير عن كلّ ما في نفوس المتحدثين بها. هذا ما يدلّ على مرونتها وقدرتها على التعبير بما يفي متطلبات أصحابها.

تملك اللغة العربية عوامل متعدّدة ووسائل تساعد على نمو الثروة اللفظية في اللغة، ومن هذه العوامل: الاشتقاق، والنحت، والقياس والارتجال، والقلب والإبدال، والحقيقة والمجاز، والتوليد، والتعريب... الاشتقاق في اللغة العربية مظهر من مظاهر حيويتها وقدرتها على التطور والتجديد. كما أنّه مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقها للطبيعة في إرجاع الجزئيات إلى الكليات، وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع، وتتجلى في ذلك مقدرة اللغة العربية في الربط والتصنيف في الألفاظ أو في المعاني هذا ما أشار إليه محمّد المبارك وقد أصاب في ذلك حينما قال: "إنّ الألفاظ العربية كالعرب أنفسهم تتجمّع في قبائل وأسر معروفة الأنساب وتحمل هذه الألفاظ دوما معناها وأصلها ونسبها، وذلك في الحروف الأصلية التي تدور مع ما يتولّد عنها ويشق منها من ألفاظ"².

¹ - علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط07، 1973م، ص: 257.

² - مجد محمّد الباكير البرازي، فقه اللغة العربية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 1987م، ص: 33.

فالاشتقاق باعتباره عامل من عوامل نمو اللغة وراثتها عند اللغويين: "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليُدلَّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئةً، كضاربٍ من ضربٍ، وحذرٍ من حذرٍ"¹.

قال ابن فارس: الشَّين والقاف أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على انصداع في الشَّيء، ثمَّ يحمل عليه ويُشتقُّ منه على معنى الاستعارة، تقول شَقَقْتُ الشَّيءَ، أَشَقُّهُ شَقًّا، إذ صدعته وبيده شُقُوق، وبالذَّابة شُقُّاق، والأصل واحد. والشَّقَّة: شَطِيطَةٌ تُشْطَلَى من لوحٍ أو خشبة².

وجاء في لسان العرب لابن منظور، الشَّقُّ: مصدر قَوْلِكَ شَقَقْتُ الْعُودَ شَقًّا. والشَّقُّ: الصَّدْعُ البَائِنُ، وقيل: غَيْرُ البَائِنِ، وقيل: هو الصَّدْعُ عامَّةً.

وفي التهذيب: الشَّقُّ الصَّدْعُ في عودٍ أو حائطٍ أو زجاجةٍ، شَقَّه يَشَقُّهُ شَقًّا فَاَنْشَقَّ، وشَقَّقَهُ فَتَشَقَّق. والشَّقُّ: المَوْضِعُ المشَقُوقُ، كأنَّه سُمِّيَ بالمصدرِ، وجمَّعه شُقُوقٌ³.

وجاء في الصَّحاح للجوهري، الشَّقُّ: واحد للشُقُوقِ، وهو في الأصل مصدر. والشَّقُّ: الصُّبْعُ. والشَّقُّ بالكسر: نَصْفُ الشَّيْءِ؛ يُقَالُ: أَخَذْتُ شِقَّ الشَّاةِ وشَقَّةَ الشَّاةِ. والشَّقُّ أيضاً: النَّاحِيَةُ من الجبل. والشَّقُّ: المشَقَّة⁴. ومنه قوله تعالى: "وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ"⁵.

ومن خلال الوقوف على مفهوم الاشتقاق عند اللغويين، نجد أنَّ مفهوم الاشتقاق عندهم أوسع من التَّحْوِينَ والصَّرْفِينَ، لأنَّهم لم يُتَيَّدُوهُ بالقواعد والضوابط كما فعل النَّحاة والصَّرْفِيَّونَ، وإنَّما اعتمدوا على المعنى أولاً، يقول الدكتور صبحي: "إنَّما ندرس الاشتقاق في ظلال دلالاته الوضعية على أنَّه توليد لبعض الألفاظ من بعضٍ، والرَّجوع بها إلى أصل واحدٍ يُجَدِّد مادَّتها ويُوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يُوحي بمعناها الخاص الجديد"⁶. في حين أنَّ غيرهم - التَّحْوِيَّونَ والصَّرْفِيَّونَ - يعتمدون على اللَّفْظِ، ويضعونه في المرتبة الأولى، فيكشفون عن هيئة الكلمة وصورتها، والقاعدة الموضوعية في صياغة الكلمات المشتقة من الأصل.

¹ - جلال الدِّين عبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بكر السِّيوطي، المِزْهَر في علوم اللِّغة وأنواعها، ج 01، ص: 346.

² - ابن فارس، مقاييس اللِّغة، ص: 170. (شَقَّ).

³ - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مج: 04، ص: 2300.

⁴ - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصَّحاح تاج اللِّغة وصِّحاح العَرَبِيَّة، ج 04، ص: 1502.

⁵ - سورة النَّحْلِ، الآية: 07.

⁶ - صُبْحِي الصَّالِح، دراسات في فقه اللِّغة، ص: 174.

إنَّ تعريف الاشتقاق عند اللّغويين فتح المجال لزيادة الثّروة اللّغوية، لأنّهم ينظرون إلى توليد لفظ من آخر، مع وجود صلة معنوية، تدلُّ على المعنى الجديد، مع اشتراك في المعنى الأصلي. لقد حظي الاشتقاق في اللّغة العربية، عناية كثير من العلماء، وذلك منذ أقدم العصور الإسلامية، فقد تعاوروه بالبحث والتّأليف منذ أواخر القرن الثّاني الهجري¹.

أقسام الاشتقاق:

للاشتقاق أقسام عدّة، بحسب اعتبار الحُرُوف، ووجود المناسبة بينها إلى أربعة أقسام؛ وهي:

- الاشتقاق الصّغير (العام).

- الاشتقاق الكبير.

- الاشتقاق الأكبر.

- الاشتقاق الكُبار (النّحت).

1- الاشتقاق الصّغير "العام":

وسمّاه بعض اللّغويين المحدثين "بالاشتقاق العام" أو "الاشتقاق الصّرفي"، وهو أكثر أنواع الاشتقاق وُزُوداً في العربية، "لأنّه الذي تتصرّف الألفاظ عن طريقه، ويشتقُّ بعضها من بعض، ومعنى هذا افتراض الأصالة في بعض الألفاظ، والفرعية في بعضها"². وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة، حتّى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصّيغ دلالة إطرادٍ أو حروفٍ غالباً، كضَرَبَ فإنّه دالٌّ على مطلق الضَّرْبِ فقط. أمّا ضاربٌ، ومضروبٌ، ويضربُ، واضرب، فإنّها أكثر دلالةً وأكثر حُرُوفاً... وكلُّها مشتركة في (ض ر ب)، وفي هيئة تركيبها. وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتجّ به.

فالاشتقاق الصّغير هو ما اتّحد فيه المشتق والمشتق منه حروفاً وترتيباً، كأكلٍ من الأكلِ واستنَرَ من النّسر. ولكي يتحقّق هذا النوع من الاشتقاق، فقد اشترط العلماء لصحّة وقوعه ثلاثة عناصر أساسية، يجب أن تتوفّر في الاشتقاق (المشتقات)؛ وهي:

1- الاشتراك في عدد الحروف، وهي في الكلمات العربية ثلاثة حروف غالباً.

2- أن تكون هذه الحروف مرتّبة ترتيباً واحداً في هذه الألفاظ.

¹ - أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، اشتقاق الأسماء، تح: رمضان عبد التّواب، صلاح الدّين الهادي، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط2، 02، 1994م، ص: 46.

² - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص: 291.

3-أن يكونَ بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى، فالألفاظ المشتركة في الأصوات الثلاثة الأصلية تشترك في معنى أصلي عام ينظم مفرداتها ويُسميه ابن فارس في مقاييسه: الأصل ويصدر به الكلام في كل مادة...¹.

وللاشتقاق الصَّغير منزلة كبيرة عند معظم علماء العربية، حيث أجمعوا على وُقوعه وكثرتِه في اللِّغة، وقيامه بدور حيوي في تنمية وتوليد الثَّروة اللُّغوية، ولذلك أَفْرَدُوهُ بالتَّأليف جماعة من علماء اللِّغة المتقدِّمين، كالضَّبِّي (ت 168هـ)، وقطرب النَّحوي (206هـ)، والأصمعي (215هـ)، والأخفش (ت 215هـ)، والمبرد (ت 255هـ)، والرَّجَّاج (ت 316هـ)، وابن السَّراج (ت 316هـ)، وابن دريد (ت 321هـ) وغيرهم. ومن قال بوقوعه الخليل وسبويه، وأبو عمرو، وأبو الخطاب وغيرهم.

2-الاشتقاق الكبير.

الاشتقاق الكبير هو ما اتَّخذ فيه المشتق والمشتق منه في الحُرُوف واختلفا في التَّرتيب، وهو المعروف عند الصَّرفيين بالقلب المكاني²؛ مثل قولك: جَالَ وَجَلًا، وَرَكَبَ وَكَبَرًا... وقد بَيَّن حَدَّةُ السُّيوطي، فقال: هو ما يُحْفَظُ فيه المادة دون الهيئة، نحو: قَوْلٌ، وَلَقٌ وَقَلٌ، لَقَوٌ، قَلَوٌ، لَوْقٌ، فالتَّقايب السَّتَّة، بمعنى الحَقَّة والسَّرعَة.

وقد سمَّاه كلٌّ من ابن جني والسُّيوطي بالاشتقاق الأكبر، وهو ما نُسمِّيه بالكبير، وقد عرَّفه ابن جني بقوله: "وأما الاشتقاق الأكبر، فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة، فتعقدُ عليه وعلى تقاليبه السَّتَّة معنىً واحداً، تجتمع التَّراكيب السَّتَّة، وما يتصرَّف من كُلِّ واحدٍ منها عليه، وإنَّ تباعدَ شيءٌ من ذلك عنه، رُذِّ بلطفِ الصَّنعة والتَّأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التَّركيب الواحد... ومن ذلك قلب (س ل م)، فذكر لها التَّقايب التَّالية (س م ل، ل م س، م ل س، ل م س، ل س م)، والمعنى الجامع لها المشتمل عليها الإصحابُ والملايئة"³.

ومن الشَّواهد التي ذكرها ابن جني على هذا النوع من الاشتقاق "تقليب مادة (ج ب ر)، فهي-أين وقعت- للقوَّة والشَّدة، منها: (جَبَرْتُ العَظْمَ والفَقِيرَ) إذا قوَّيتهما وشددتَ منهما. و(الجَبْرُ): الملِكُ لقوَّته وتقويته غيره... ومنه البُرْجُ لقوَّته في نفسه وقوَّة ما يليه به. وكذلك (البرَجُ) لنقاء بياض العين وصفاء سوادها، هو قوَّة أمرها، ومنها (رَجَبْتُ الرِّجْلَ) إذا عَظَّمْتَهُ وَقَوَّيْتُ أَمْرَهُ، ومنه (رَجَبَ) لتعظيمهم إيَّاه عن

¹ - مجد محمَّد الباكير البرازي، فقه اللِّغة العربية، ص: 57.

² - القلب لغةً : " تحويل الشيء عن وجهه". ابن منظور، لسان العرب، ج 01، ص: 3713. مادة (ق ل ب).

³ - ابن جني، الخصائص، ج 02، ص: 136.

القتال فيه، وإذا كُرِّمَت النّحلة عن أهلها فمالت دعموها الرّجبة، وهو شيءٌ تُسندُ إليه لتقوى به. و(الرّاجبة): أحدُ فصوص الأصابع، وهي مقوِّية لها، ومنها (الرّاجي)، وهو الرّجل يَفْخَرُ بأكثر من فعله، لأنّه يُعْظَم نفسه، ويُقَوِّي أمره".

ومن خلال هذه الأمثلة، نجد أنّ الرّبط بين تقاليد المادة الواحدة قائم على الإحساس اللّغوي، والتّلطُّف في ردّ التّقاليب المختلفة في المعنى إلى بعضها.

وما يلاحظُ على الأمثلة التي ذكرها ابن جني وأجرى عليها التّقاليب، فهي أمثلة ثلاثية الأصول، ولم يُمثّل بأمثلة زاد الأصل فيها عن ثلاثة أحرفٍ أصولٍ، فلم يمثّل للرّباعي والخُماسي، ولا للشّائي، فرمّا يرجع ذلك إلى إهمال العرب - غالباً - لتقاليد ما زاد على ثلاثة أحرفٍ أو لأنّ الوارد من غير الثلاثي قليل.

3- الاشتقاق الأكبر

الاشتقاق الأكبر، هو ما اتّخذ فيه المشتق والمشتق منه في بعض الحروف، واختلفا في الباقي، وكان المختلف فيه متّحداً مخرجاً أو صفةً؛ مثل: هَتَنَ المطر، وهطل المطر، وحالكَ وحانَكَ.

وقد جاء ابن جني ليوضح فكرة الاشتقاق الكبير - كما يسميه - ليعطي مدلول تلك الصّور، ويستنبط معانيها العامّة والمشاركة بينها¹.

كما قد تحدّث عنه ابن جني في أكثر من باب في خصائصه، ولكنّه لم يسمّه بهذا الاسم، وإنّما تحدّث عنه في بابٍ من الحرفين المتقارنين يُستعمل أحدهما مكان صاحبه - الخصائص - وباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، ومن الأمثلة التي ذكرها: قولهم: هتلت السّماء، وهتنت، هما أصلان؛ ألا تراهما متساويين في التّصرف...

وقال الأصمعي: بنات مخر، وبنات بحر، سحائب يأتين قُبْل الصّيف بيض منتصبات في السّماء. ومن ذلك قوله: خَضَمَ، وقَضَمَ، فالخضم للأكل الرّطب، كالبطيخ، والقضم لليابس الصّلب، كقضم الدّابة للشّعير؛ ونحوها. فاختاروا الحاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها وشدّتها لأكل اليابس. وكذلك قولهم: النَّضْحُ للماء ونحوه، والنّضج أقوى من النّضح، فجعلوا الحاء لِرِفْتِها للماء الضّعيف، والحاء لغلضتها لما هو أقوى منه؛ ومن ذلك قوله تعالى: "فِيهِمَا عَيْنَانِ نَصَاحَتَانِ"²؛ أي: فوارتان بالماء لا تنقطعان.

¹ - فرحات عيّاش، الاشتقاق ودوره في نمو اللّغة ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 34.

² - سورة الرّحمن، الآية: 66.

ومن ذلك الوسيلة والوصيلة، والصّاد أقوى صوتاً من السين لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، فجعلوا الصّاد للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف.

فالأمثلة السابقة، تقاربت الألفاظ فيها لتقارب المعاني، والحروف متّحدة في المخرج، ولكنها متقاربة في صفاتها لكي تناسب مع المعنى، فكل كلمتين من الأمثلة السابقة اتفقتا في حرفين سواءً في الفاء والعين، واختلفتا في الفاء؛ مثل: هَتَلْ، هَتَنَ، وَنَضَحَ، وَنَضَخَ، أو اتفقتا في العين واللام واختلفتا في اللام؛ مثل: وَسَلْ وَوَصَلْ، فإنّ هذه الحروف وإن اختلفت إلا أنّها متّفقة في المخرج، والخلاف بينها خلاف في الصّفات فقط.

4-النّحت "الكبّار":

النّحت لغةً، معناه: البري والنّشر والقطع، ومنه قوله تعالى: "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ"¹؛ أي: مُتَجَرِّبِينَ.

وفي الاصطلاح، معناه: أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر لتؤدي معناهما على سبيل الاختصار الناتج عن إسقاط بعض الحروف.

وقد جاء النّحت في اللّغة العربية، وتنبّه إليه القدماء، قال ابن فارس في كتابه الصّاحي: "العرب تَنْحِتُ من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك "رجل عبشمي" منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل:

أَقُولُ لَهَا وَدَمْعُ الْعَيْنِ جَارٍ أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ الْمَنَادِي.

مكان قوله: "حيّ على"، فالكلمة منحوتة من كلمتين"².

وقد سمّاه بعض الباحثين بالاشتقاق الكبّار - النّحت - لأنّ مراعاة الاشتقاق تنصر جعل النّحت نوعاً منه، ففي كلّ منهما توليد شيء، وفي كلّ منهما فرع وأصل، ولا يتمثل الفرق بينهما إلا في اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر على طريقة النّحت.

والفرق بين الاشتقاق والنّحت، أنّ الاشتقاق في أغلب صورهِ عملية إطالة لبنية الكلمات؛ في حين أنّ النّحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات.

وعلى هذا فالنّحت يُعدّ أحد العوامل التي تؤدي إلى تنمية اللّغة العربية، وزيادة ثروتها اللفظية، وهو قليل. ولعلّ السّبب في نشوء بعض المنحوتات في اللّغة، أنّ المتكلّم قد يعسر عليه أن يفصل بين كلمتين،

¹ - سورة الشعراء، الآية: 149.

² - ابن فارس، الصّاحي، ص: 209، 210.

وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما، تداخلا تاما، والنتيجة الطَّبِيعِيَّة لمثل هذه الرِّلَّة، وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة، أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة، عن طريق النَّحت (Contamination) ...¹.

أقسام النَّحت:

جاء النَّحت في اللِّغة العربيَّة على أربعة أقسام، وهي على النَّحو التَّالي:

- 1- النَّحت الفعلي: وهو نحت فعل من جملة يدلّ على حكاية القول أو حدوث المضمون، فيكون نحت فعلي رباعي على وزن "فَعَّلَل"؛ مثل: بَسَمَل، سَبَحَل، حَوَّلَق، سَمَعَل، حَيَعَل، دَمَعَز.
- 2- النَّحت النَّسبي: وهو أن تنحت علما من اسمين متضايفين، ويكون في نوعين:
 - أ- في الأعلام أو القبائل المكوّنة من اسمين متضايفين ثلاثيين، فينحت منهما اسم رباعي على وزن "فَعَّلَل"، ثمّ ينسب إليه؛ مثل: "تَيْمَلِي"، من: تَيْمُ الله، و"عَبْشَمِي"، من: عَبْدُ شَمْس...
 - ب- أعلام القبائل المصدّرة بلفظ "بني" مضافة إلى ما فيه "أل" ظاهرة غير مدغمة، فينحت من المضاف والمضاف إليه اسم واحد فيه أحرف منهما معاً؛ مثل: "بَلَقَيْن"، من: "بَنِي الْقَيْن"، و"بَلْحَارِث"، من: "بَنِي الْحَارِث"، بحذف النّون والياء من "بني" وبحذف همزة الوصل من "أل" من الاسم التّالي.
- 3- النَّحت الاسمي: وهو نحت اسم من كلمتين متضايفتين؛ مثل: "شَقَّحَطَب"²، من: "شَقَّ حَطَب" و"حَبْرُ" للبرد، من: "حَبَّ وُقْر"، فيقال: هذا الشّيء أبرد من حبقر؛ أي: أبرد من البرد³.
- 4- النَّحت الوصفي: وهو أن تنحت كلمة من كلمتين، تدلّ على صفة بمعناها أو أشدّ منها؛ مثل: "ضَبَطَر"، من: "ضَبَطَ وَضَبَرَ"⁴، و"صَهْصَلَق"، من: "صَهْلَ⁵ وَصَلَق"⁶، وكلاهما يدلّ على الصّ

¹ - رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه العربيَّة، ص: 301.

² - كبش ذو أربعة قرون.

³ - عبد التّوّاب مرسى حسن الأكرت، فقه اللِّغة العربيَّة، ص: 195.

⁴ - رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه العربيَّة، ص: 302. (بتصرُّف).

⁵ - الصِّيَاح والولولة.

⁶ - صوت أنياب البعير إذا حَكَّ بعضها بعضاً.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط06، 1984م
2. ابن الأنباري، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960م.
3. ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط03، 1405هـ - 1985م.
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج 03، 1979م.
5. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط01، 1119م.
6. أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي: أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفعاني، دار المعرفة، بيروت، ج01.
7. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م.
8. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر، 1399هـ - 1979م، ج2، (ر د ف).
9. أبو الطيب اللغوي، كتاب الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، 1995م
10. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2، ص: 126.
11. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط03، 1408هـ - 1988م، ج1.
12. أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني كتاب الاضداد.
13. أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، اشتقاق الأسماء، تح: رمضان عبد التّواب، صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط02، 1994م.
14. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج8، (ر د ف).
15. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، ط3، 1418هـ، 1997م،
16. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، المحصول في علم أصول الفقه.
17. أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، الأمالي، عني بوضعها وترتيبها محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط3، 1344هـ - 1926م، ج1.

18. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، الطبعة العصرية، بيروت، 2003م، بتصرف).
19. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.
20. أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت، كتاب الاضداد.
21. أحمد الشرقاوي إقبال، مُعْجَمُ الْمُعْجَمِ، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987م.
22. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ج5، 1999م، (مادة: ف ق ه).
23. أحمد شامية، نبيلة عباس، دروس في فقه اللغة، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2005م-2006م.
24. أحمد مختار عمر، علم الدلالة.
25. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط4، 1990م، ج2.
26. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج1، 1998م.
27. حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، مجلة دراسات تربوية، ع: 06، أبريل 2009م.
28. حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م.
29. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج7.
30. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1420هـ-1999م.
31. سالم الخماش، فقه اللغة.
32. السيد الشريف علي الجرجاني، التعريفات دار الكتاب العربي، بيروت 1985، ج1.
33. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1.
34. صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
35. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 2009م.
36. عبد التواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللغة العربية - نشأته وتطوره، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط: 01، 2013م.
37. عبد الرحمن الشايع، الفروق اللغوية وأثرها في التفسير، مكتبة الحبيكان، الرياض 1993.
38. عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النها وندي الزجاجي أبو القاسم، الأمالي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م، ج1.

39. علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، دار نخضة مصر، القاهرة، ط07، 1973م.
 40. غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات، دمشق، ط02، 2000م.
 41. فرحات عيّا، الاشتقاق ودوره في نمو اللّغة ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
 42. كريم زكي حسام الدّين، العربية تطوّر وتاريخ - دراسة تاريخية لنشأة العربية والخط وانتشارهما، 2003م.
 43. كريم زكي حسام الدّين، العربية تطوّر وتاريخ.
 44. مجد محمّد الباكير البرازي، فقه اللّغة العربية، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط01، 1987م.
 45. مجمّع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، ط04، 2004م، (مادة: ف ق هـ).
 46. محمّد أحمد أبو الفرج، مقدّمة لدراسة فقه اللّغة، دار النّهضة العربية، بيروت، دس.
 47. محمد حماسة عبد اللّطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشّروق، ط01، 1420هـ - 1999م.
 48. محمد محي الدّين عبد الحميد، محمّد عبد اللّطيف السّبكي، المختار من صحاح اللّغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (ر د ف).
 49. محمّد مرتضى الحسيني الرّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1385هـ - 1965م، مادة (ش ر ك).
 50. محمّد نور الدّين المنجد، التّرادف في القرآن الكريم (بين النظرية والتّطبيق)، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، دار الفكر دمشق - سورية، ط1، 1417هـ - 1997م.
 51. محمود فهمي حجازي، أسس علم اللّغة العربية، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، القاهرة، 2003م.
 52. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الأرابطة، الإسكندرية، د ط.
53. -Abou Mansour El Te Halebi ,Fekh-El-Logat ,courrigé ,ponctur et publier par :
ROCHAID DAHDAH.1861.

